الفصل الخامس والخمسون بعد المئة

الشعر المصنوع

ليس البحث في معرفة المصنوع من الشعر ، وفي أسباب وضعه ، من البحوث الجديدة ، التي أوجدها المستشرقون ، أو من أخذ عنهم من الباحثين المحدثين ، بل هو بحث قديم ، أتقنه أهل الجاهلية ، وأخذه عنهم أهل الإسلام . وفي هذا المعنى قال الشاعر الشهير (الحطيئة) : « ويل للشعر من الرواة السوء »[1] . فرواة الشعر ، آفة بالنسبة للشعر وللشعراء ، قد يزيدون فيه ، وقد ينقصون ، وقد يصحفون ، وقد يفتعلون ويصنعون الشعر على ألسنة غيرهم ، ولو لم يكن هذا المرض معروفاً في أيام الحطيئة وقبلها لما ورد هذا القول عنه .

ومعنى انتحله وتنحله ادعاه لنفسه ، وهو لغيره . يقال : انتحل فلان شعر فلان أو قوله ادعاه انه قائله ، وتنحله ادعاه وهو لغيره . قال الأعشى :

فكيف أنا وانتحال القوا ... في بعد المشيب كفى ذاك عارا
وقيدني الشعر في بيته ... كما قيد الأسرات الحمارا

« ويقال نحل الشاعر قصيدة ، اذا نسبت اليه ، وهي من قبل غيره . ومنه حديث قتادة بن النعمان : كان بشير بن أبيرق يقول الشعر ويهجو به أصحاب

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٣٩) ، (دار الثقافة ، بيروت) .

النبي صلى الله عليه وسلم ، وينحله بعض العرب »[1] . ولم يكن (بشير) أول من فعل ذلك بالطبع من العرب،فهناك غيره ممن سبقه وممن عاش في أيامه صنعوا صنيعه في نحل الشعر وإضافته الى الشعراء لمآرب مختلفة . ويظهر من الشعر المتقدم المنسوب الى الأعشى ، انه قد اتهم بانتحال الشعر ، بأخـذ شعر غيره وادعائه لنفسه ، فنفى عنه تلك التهمة .

ويروى ان (النعمان بن المنذر) ، كان يرى به هذا الرأي ، فقد ذكروا انه قال له : « لعلك تستعين على شعرك هذا ؟ فقال له الأعشى : احبسني في بيت حتى أقول ، فحبسه في بيت ، فقال قصيدته التي أولها :

أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطّت على ذي هوى أن تزارا »

ثم ذكر فيها البيتين المتقدمين[2] . وورد ان الذي قال له ذلك ، هو (قيس ابن معديكرب) الكندي[3] .

وكان السطو على الشعر ، معروفاً في الجاهلية كما كان معروفاً في الإسلام . قال الفرزدق :

إذا ما قلتُ قافيةً شروداً تنحّلها ابن حمراء العِجان

وقال ابن هرمة :

ولم أتنحل الأشعارَ فيهـا ولم تُعْجِزني المِدَحُ الجياد[4]

يقال تنحل الشاعر قصيدة ، إذا نسبها الى نفسه ، وهي من قبل غيره .

قال يزيد بن الحكم :

ومسترق القصائد والمضاهي سواء عنـد علاّم الرجال[5]

---

١ تاج العروس (٨/١٢٩) ، (نحل) ، اللسان (١١/٦٥١) ، (نحل) .
٢ الشعر والشعراء (١/١٨٠ وما بعدها) ، ديوانه (رقم ٤١) .
٣ الشعر والشعراء (١/١٨٠) ، (حاشية رقم ٦) .
٤ تاج العروس (٨/١٢٩) ، (نحل) ، اللسان (١١/٦٥١) ، (نحل) .
٥ تاج العروس (٨/٤٠٥) ، (علم) .

ويقال ان (الأعشى) ، وضع في شعره ان (هرم بن قطبة) حكم لعامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة ، وتزيد بذلك على (هرم) ، وأشاعه بين الناس[1] . والتزيد تكلف الزيادة في الكلام وغيره . وورد ان من الشعراء الجاهليين من كان ينتحل شعر غيره ، أو يجتلب منه . قال الراجز :

يا أيها الزاعم أني أجتلب وأنني غير عضاهي أنتجب
كذبت إنّ شر ما قيل الكذب ![2]

فهو ينكر انه يجتلب الشعر من غيره . واجتلب الشاعر ، اذا استوق الشعر من غيره واستمده . قال جرير :

ألم يعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا

أي لا أعيا بالقوافي ولا اجتلبهن ممن سواي ، بل أنا في غنى بما لدي منها[3] .

وقد نحل على الأعشى ، فنسب له الرواة ما ليس من شعره ، مثل قصيدته التي قالها في مدح (سلامة ذا فائش) ، فقد روى (ابن قتيبة) الأبيات الأربعة الأولى منها ، ثم قال : « وهذا الشعر منحول ، لا أعرف فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :

يا خير من يركب المطي ولا يشرب كأساً بكف من بخلا »[4]

وروي عن (الخليل) قوله : « إن النحارير من العرب ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ، إرادة اللّبس والتعنيت »[5] . وحمل الكلام على الغير شيء مألوف ، كما أن أخذ شخص كلام غيره وادعائه لنفسه شيء مألوف كذلك . وقد اشار جهابذة العلماء الى أن في الشعر مصنوعاً وفيه مفتعل موضوع . وهو كثير لا خير فيه ولا حجة في عربيته . وقد انبرى له العلماء فنقدوا الشعر

---

١ مصطفى صادق الرافعي ، تأريخ آداب العرب (١/٣٦٥ وما بعدها) .
٢ المصدر نفسه (١/٣٦٦) .
٣ تاج العروس (١/١٨٤) ، (جلب) .
٤ الشعر والشعراء (١/١٥) ، ديوان الأعشى (٢٣٢ وما بعدها) ، (القصيدة رقم ٣٥) .
٥ المزهر (١/١٧١) .

لاستخراج الصحيح منه من الفاسد ، وتمكنوا قدر إمكانهم من ضبط بعض الفاسد المنحول ومن الإشارة اليه[1] . قال (ابن سلام) : « وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ، ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم ، أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الأشكال »[2] .

وقد ذكروا أن قوماً تداولوا هذا الشعر المصنوع « من كتاب الى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروي عن صحفي »[3] . فمقياس الصحة في نظرهم ، هو الرواية والأخذ عن أهل البادية ، وقول علماء الشعر في الشعر ، أما الشعر المدوّن والمنقول من الصحف ، فلا قيمة له ، مع أن التدوين أصدق وأكثر صحة من النقل والرواية ، وإذا كانوا قد خافوا التزوير في التدوين ، فإن التزوير في الرواية لا يقل خطراً عن التزوير في التدوين . وقد عدّوا الصحفيين ، قوماً لا علم لهم بالشعر ، وإنما هم نقلة ، يقرأون ما هو مكتوب ، وليس في القراءة دليل على علم[4] ، وذلك لأنهم كانوا يصحفون في القراءة ، ويلحنون ، بينما الراوية الذي يعتمد على علمه وعلى حافظته وعلى ذوقه وطبعه ، لا يصحف ولا يقع في اللحن ، ولهذا قيل لهؤلاء الصحفيين المصحفين .

« قال خلاّد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيان أبي محرز — وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله — بأي شيء ترد هذه الأشعار التي تروى ؟ قال له : هل تعلم أنت منها ما انه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم . قال : فلا تنكر أن يعرفوا من ذلك ما لا تعرفه أنت . وقال قائل لخلف : اذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك. فقال له: اذا أخذت أنت درهماً فاستحسنته ،

---

١ المزهر (١/١٧١) .
٢ طبقات (١٤) .
٣ المزهر (١/١٧١) .
٤ المزهر (١/١٧٤) .

فقال لك الصراف : انه رديء ، هل ينفعك استحسانك له ؟ »[1] .

وقد افتخر رواة الشعر بأنفسهم ، وزعموا انهم أكثر فهماً في النقد من رواة الحديث ، قال (يحيى بن سعيد القطان) : « رواة الشعر أعقل من رواة الحديث، لأن رواة الحديث يروون مصنوعاً كثيراً ، ورواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون : هذا مصنوع »[2] . يعيبون رواة الحديث على روايتهم الحديث المصنوع ، مع ان وضعهم للشعر لا يقل عن وضع رواة الحديث للحديث على لسان الرسول ، ونقدهم له لا يرتفع كثيراً عن نقد رجال الحديث للحديث .

وقد تعرض (ابن سلام) لموضوع إفساد الشعر ونحله ، فقال : « وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل كل غثاء : محمد بن اسحاق مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف . وكان من علماء الناس بالسير، فنقل الناس عنه الأشعار، وكان يعتلّ منها . ويقول : لا علم لي بالشعر ، إنما أوتى به ، فأحمله ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود . أفلا يرجع الى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ؟ ومن أدّاه منذ ألوف من السنين ؟ والله يقول : وأنه أهلك عاداً الأولى وثمودَ فما أبقى . وقال في عادٍ : فهل ترى لهم من باقية . وقال : وعاداً وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله »[3] .

فهو يتهم (ابن اسحاق) بالجهل بالشعر ، وهو جهل استغله صنّاع الشعر فجاءوا اليه بشعر غثاء فاسد ، وبشعر مصنوع ، فأدخله ، وبشعر مفتعل وضع على ألسنة الماضين فقبله . فكان جهله من عوامل إفساد الشعر .

وهذا الشعر بيّن الفساد ، يمكن لكل ذوي عقل رفضه ، ولكن الذي أفسد الشعر وهجنه ، هم علماء الشعر وصناعه من أصحاب الحرفة ، الذين وضعوا على ألسنة الشعراء ، شعراً صعب حتى على نقدة الشعر رده الى أصله ، لأنهم وضعوه وصاغوه على ألسنة الشعراء صياغة محبوكة من نمط الشعر الصحيح المحفوظ عن أهل الجاهلية ، ومن هنا هان عمل (ابن اسحاق) بالنسبة الى عمل (حماد) الراوية و (خلف الأحمر) وغيرهما من صاغة الشعر .

---

١ ابن سلام ، طبقات (٣ وما بعدها) ، المزهر (١/١٧٢ وما بعدها) .
٢ المزهر (١/١٧٥) ، ذيل الأمالي (١٠٥) .
٣ طبقات (٣ وما بعدها) ، المزهر (١/١٧٣ وما بعدها) .

وقال (ابن سلام) : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار ، وليس يُشكل على أهل العلم زيادة ذلك ، ولا ما وضع المولدون ، وانما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الإشكال »[1] .

وروى (ابن سلام) خبراً طريفاً من أخبار النحل في الشعر ، فقال : « أخبرني أبو عبيدة ان داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي في الجلب والميرة ، فنزل النحيت ، فأتيته أنا وابن نوح ، فسألناه عن شعر أبيه متمم ، وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته ، فلما نفد شعر أبيه جعل يزيدفي الأشعار، ويضعها لنا ، واذا كلام دون كلام متمم ، واذا هو يحتذي على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم ، والوقائع التي شهدها ، فلما توالى ذلك علينا علمنا انه يفتعله »[2] .

وتحاشياً من الوضع ، امتحنوا من كان يقدم عليهم ، للأخذ منه ، أو من كان يتصل بهم من الأعراب ، حتى يتأكدوا من أمانتهم ومن علمهم بما سيسألونهم عنه . إذ ثبت عند العلماء بالشعر ان بعض الأعراب كانوا يفتعلون الشعر ويضعون الأخبار ويجيبون عن غير علم . وقد أفرد (أبو العباس) المبرد لبعض منهم باباً خصصه بأكاذيب الأعراب . وبما كانوا يروونه من أساطير وخرافات[3] ، ومع ذلك فقد فات عليهم الكثير من هذه الأكاذيب ، ودخلت كتبهم، ويمكنك التعرض على البعض منه ، من دون حاجة الى بذل مشقة أو جهد .

وقد أورد علماء الشعر امثلة على المصنوع من الشعر من ذلك ما ذكره (أبو عبيدة) من أنه أنشد (بشار بن برد) ، البيت :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

---

١ طبقات (١٤) .
٢ طبقات (١٤) ، المزهر (١/١٧٥) .
٣ المزهر (٢/٥٠٤) ، (أكاذيب الأعراب) .

وهو بيت وضعه (أبو عمرو) الشيباني على لسان الأعشى ، فقال بعلمه بالشعر وبألفاظ العرب : « كأن هذا ليس من لفظ الأعشى »[1] ، وقد كان (بشار) الشاعر المعروف حاذقاً بأشعار العرب ملماً بأساليبهم ، فأدرك بسليقته وبعلمه بشعر الأعشى أن هذا البيت ليس من شعره ، وقد روى الرواة أن (أبا عمرو) هو الذي وضعه على لسان الأعشى ، وأنه اعترف بصنعه له .

وقد جاء (المعري) في (رسالة الغفران) بأمثلة كثيرة من أمثلة الشعر المنحول الذي صنع على ألسنة الشعراء الجاهليين . كما أشار الى التحوير والتغيير الذي أدخله «المعلمون في الإسلام» على الشعر « فغيّروه على حسب ما يريدون »[2].

وروي ان قريشاً كانوا أول من وضع الشعر من القبائل في الاسلام . نظروا الى أنفسهم ، فإذا حظهم في الشعر قليل في الجاهلية ، فاستكثروا منه في الاسلام. قال (ابن سلام) : « وقريش تزيد في أشعارها تريد بذلك الأنصار والرد على حسان »[3] . ولم يكتف القرشيون بإضافة الشعر اليهم ، وباستكثاره ، بل عملوا الشعر على لسان شعراء المدينة للغض منهم ، وذلك لما كان بينهم وبين أهل يثرب من تحاسد يعود الى ما قبل الاسلام . وقد ذكر ان (قتادة بن موسى) الجمحي هجا (حسان بن ثابت) ونحلها (أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب)[4] ، صنعوا الشعر الغث الضعيف وأضافوه الى شعراء الأنصار للغض من منزلتهم في الشعر .

وقد أشار (السيوطي) الى أشعار ، ذكر ان علماء الشعر يروون انها من صنع (خلف الأحمر) ، صنعها على ألسنة الشعراء الجاهليين . من ذلك اللامية المنسوبة الى (الشنفرى)[5] ، والقصيدة التي فيها :

خيلٌ صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

---

١ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٣٥ وما بعدها) .
٢ رسالة الغفران (٣١٧ وما بعدها) .
٣ طبقات (٦٢) .
٤ الاصابة (٣/٢١٧) ، (٧٠٧٧) .
٥ طبقات النحويين ، للزبيدي (١٧٨ وما بعدها) ، المزهر (١/١٧٦) .

وقد نسبها للنابغة [1] . والقصيدة التي فيها :

قل لعمرو : يا بن هند لو رأيت القوم شنّا
لرأت عينـــاك منهم كل ما كنت تمنى [2]

كما روى أبياتاً ذكر أنها من صنع (حماد) . من ذلك قصيدة نسبها لهنـــد ابنة النعمان ، من أبياتها :

ألا من مبلغ بكراً رسولاً فقـــد جدّ النفير بعنقفـير

وقد قال الأصمعي ، إنها مصنوعة ، لم يعرفها أبو بردة ، ولا أبو الزّعراء، ولا أبو فراس ، ولا أبو سُريرة ، ولا الأغطش ، وهي مع نقيضة لها أخذت عن حمّاد الراوية [3] .

وروي عن (الأصمعي) قوله : « كل شيء في أيدينا من شعر امرىء القيس فهو عن حمّاد الراوية إلاّ نتفاً سمعتها من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء » [4] .

ومرد نحل الشعر عند (ابن سلام) : إما الى عصبية قبلية ، وإما الى رواة شعر . أما عصبية القبائل ، فقد دوّنت رأيه في سببها . وأما عن رواة الشعر ، فأول المزيفين للشعر في نظره (حماد) الراوية ، الذي قال عنه : « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثهـــا حماد الراوية ، وكان غير موثوق به . كان ينحل شعر الرجل غيره ، ويزيد في الأشعار . أخبرني أبو عبيدة عن يونس. قال : قدم حمادٌ البصرة على بلال بن أبي بردة ، فقـــال ما أطرفتني شيئاً ! فعاد اليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبو موسى . فقال : ويحك يمدح الحطيئة أبا موسى ، لا أعلم به ، وأنا أروي للحطيئة . ولكن دعها تذهب بين الناس . وأخبرنا ابن سلام ، قال : سمعتُ يونس يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد،وكان يكذب ويلحن ويكسر » [5] . وحماد وأضرابه في نظر (ابن سلام)

---

١ المزهر (١/١٧٧) .
٢ المزهر (١/١٧٩) .
٣ المزهر (١/١٨٠) .
٤ مراتب النحويين (٧٢) ، شوقي ضيف ، العصر الجاهلي (١٧٤) .
٥ طبقات (١٤ وما بعدها) .

مزيفون ماهرون يزيفون الشعر ويصنعونه ، فهم أصحاب صنعة محترفون للتزييف ؛ أما (محمد بن اسحاق) ، فإنه في نظره نمط آخر ، نمط رجل جاهل بالشعر ، دفع اليه الناس المصنوع من الشعر وكل غثاء منه ، فحمله ، وأدخله في السيرة ، وحمل الناس عنه الأشعار ، وكان عذره أنه لا علم له بالشعر ، إنما يؤتى به اليه فيحمله ويدوّنه ، ولكنه لامه على هـذا الاعتذار بقوله : « ولم يكن له ذلك عذراً ، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط . وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقوافٍ ، أفلا يرجع الى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف السنين ، والله تبارك وتعالى يقول : فقطع دابر القوم الذين ظلموا ... الخ »[1] ، وقد اتهمه غيره بأنه « كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها ، ويسأل أن يدخلها في كتابه السيرة ، فيفعل فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر ، وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه ، وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتابه أهل العلم الأول ، وأصحاب الحديث يضعفونه »[2] . وألحق بهـذا الصنف من رواة الشعر ومدوّنيه جماعة الصحفيين ، الذين لم يكونوا يميزون بين الشعر ، ويحملون كل ما يعطى لهم ، من شعر غث أو زائف ، وقد يصحفون في تدوينه ، لعـدم وجود علم لهم به ، فهم أيضاً في جملة من أفسد الشعر .

و (ابن سلام) الجمحي ، من علماء البصرة ، وأكثر حملة الشعر البصريين يتحاملون عليه ، عصبية منهم لمدينتهم ، لأنه من أهل الكوفة ، وكان أهل الكوفة يغضون أيضاً من شأن رجال العلم البصريين ويتحاملون عليهم . وكل ينسب الى خصمه التزييف ونحل الشعر على ألسنة الشعراء المتقدمين ، وكل منهم يتهم الآخر بالتهمة التي يوجهها لخصمه من التزييف والجهل .

ولم يكن (ابن سلام) أول من نبه الى وجود النحل في الشعر ، ولم يكن هو أيضاً آخر من وضع رأياً في النقد ، فتوقف الناس بعده . فقد سبقه الأعشى وغيره الى هذا الرأي . ثم جاء بعده علماء كانت لهم آراء قيمة في هذا الشعر وفي

---

١ طبقات (١٤) ، الفهرست ، (١٤٢) .

٢ الفهرست (١٤٢) .

شعرائه ، نجدها مدونة في كتبهم ، وفي الكتب التي اعتمدت عليها ، وقد نبهت ملاحظات أولئك العلماء المستشرقين الذين ظهروا في القرن التاسع عشر فما بعد ، فعمدوا الى دراستها وتحليلها ، واستنبطوا منها آراءهم التي أبدوها عن الشعر الجاهلي.

وقد نبه (أبو العلاء) المعري الى وجود الشعر المصنوع في (رسالة الغفران) وأشار اليه وشخّص قسماً منه ، وذكر اسم صانعيه في بعض الأحيان ، فذكر الشعر المنسوب الى (آدم) مثلاً :

نحن بنو الأرض وسكانها منها خلقنا ، واليها نعود
والسعد لا يبقى لأصحابه والنحس تمحوه ليالي السعود

وقال على لسانه : « إن هذا القول حق ، وما نطقه إلا بعض الحكماء ، ولكني لم أسمع به حتى الساعة »[1] .

ويقول (أبو العلاء) مخاطباً (آدم) : « وكذلك يروون لك — صلى الله عليك — لما قتل (هابيلُ) (قابيلَ) :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
وأودى ربع أهليها فبانوا وغودر في الثرى الوجه المليح

وبعضهم ينشد :

وزال بشاشة الوجه المليح[2]

ثم يضع الجواب على لسان آدم ، فيقول له : « أعزز عليّ بكم معشر أبنيي ! انكم في الضلالة مُتهوّكون ! آليت ما نطقت هذا النظم ، ولا نُطق في عصري وانما نظمه بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ! كذبتم على خالقكم وربكم ، ثم على آدم أبيكم ، ثم على حواء أمكم ، وكذب بعضكم على بعض ، ومالكم في ذلك الى الأرض »[3] .

---

١ رسالة الغفران (٣٦٠) .
٢ رسالة الغفران (٣٦٢ وما بعدها) .
٣ رسالة الغفران (ص ٣٦٤) .

وسأل (المعري) (آدم) عن لسانه ، ثم أجاب عنه بقوله : « انما كنت أتكلم بالعربية وأنا في الجنة ، فلما هبطت الى الأرض ، نُقل لساني الى السريانية، فلم أنطق بغيرها الى ان هلكت ، فلما ردني الله – سبحانه وتعالى – الى الجنة ، عادت على العربية ، فأي حين نظمت هذا الشعر : في العاجلة أم الآجلة ؟ »[1] :

ثم تراه يتحدث عن الشعر المنسوب الى الجن ، والى أشعار أخرى ، فتراه يردّها وينتقدها ، ويشير الى وجود شعر مصنوع وضع على الإنس والجن. تراه يقول : « وكنت بمدينة السلام ، فشاهدتُ بعض الورّاقين يسأل عن قافية (عدي ابن زيد) التي أولها :

بكر العاذلات في غلس الصبـ ـح يعاتبنه أمـا تستفيق
ودعا بالصبوح فجراً ، فجاءت قينةٌ في يمينهـا إبريق

وزعم الورّاق أن (ابن حاجب النعمان) سأل عن هذه القصيدة وطلبت في نسخ من ديوان عدي ، فلم توجد . ثم سمعت بعد ذلك رجلاً من أهل استراباذ يقرأ هذه القافية في ديوان العبادي ، ولم تكن في النسخة التي في دار العلم »[2] .
وقد تحدث (أبو العلاء) المعري في (رسالة الغفران) عن القصيدة التي أولها:

أليمّا عـلى المطورة المُتأبدة أقامت بها في المربع المتجردة
مضمّخة بالمسك مخضوبة الشوى بدُرّ وياقوت لهـا متقلدة
كأن ثناياها – وما ذقت طعمها – مُجاجة نحل في كُميت مبردة
ليقرر بها النعمان عيناً فإنهـا له نعمة ، في كل يوم مجددة

فقال إنها من الشعر المنحول ، نحلت على النابغة ونسبت اليه . وقال على لسانه: « فيقول أبا أمامة : ما أذكر أني سلكت هذا القريّ قط . فيقول مولاي الشيخ زين الله أيامه ببقائه : إن ذلك لعجبٌ ، فمن الذي تطوّع فنسبها إليك ؟ فيقول إنها لم تنسب إليّ على سبيل التطوع ، ولكن على معنى الغلط والتوهم ، ولعلّها

---

١ رسالة الغفران (٣٦١ وما بعدها) .
٢ رسالة الغفران (١٤٦ وما بعدها) .

لرجل من بني ثعلبة بن سعد[1] فيقول نابغة بني جعدة : صحبني شابٌ في الجاهلية ونحن نريد الحيرة ، فأنشدني هذه القصيدة لنفسه ، وذكر أنه من ثعلبة بن عكابة، وصادف قدومه شكاة من النعمان فلم يصل اليه . فيقول : نابغة بني ذُبيان : ما أجدر ذلك أن يكون ! »[2] . فردّ هذا الشعر ، وأنكر كونه من شعر النابغة ، وبين بأسلوب جميل رأيه فيمن نحله عليه .

وتحدث عن الكلمة الشينية المنسوبة للنابغة الجعدي ، التي يقول فيها :

ولقـد أغدُو بشرب أنف قبل أن يظهر في الأرض ربش
معنـا زقٌّ الى سُمّهـة تسق الآكال من رطب وهش

وبعد أن دوّنها قال : « فيقول نابغة بني جعـدة : ما جعلت الشينَ قطّ روياً ، وفي هذا الشعر ألفاظ لم أسمع بها قط : ربش ، وسُمّهة ، وخشش »[3].

وتراه يتحدث عن قصيدة نسبت للأعشى ، فيقول عـلى لسان سائل يسأل (أعشى قيس) في الجنة عن قوله :

أمِنْ قتلة بالأنقـاء دارٌ غـير محلوله
كأن لم تصحب الحي بها بيضاء عطبوله
أناة ينـزل القوسي منها منظـر هوله

الى أن يكمل القصيدة ، ثم يقول : « فيقول أعشى قيس : ما هذه مما رصد عني ، وانك منذ اليوم لمولع بالمنحولات »[4] .

وفي (رسالة الغفران) مواضع أخرى كثيرة تعرض فيها (المعري) لنقـد الشعر ، ولبيان الصحيح منه من الفاسد ، تجعل الكتاب من الكتب الجيدة القديمة التي نبهت الى وجود الصنعة والنحل في الشعر الجاهلي ، والتي مهدت الجادة لمن جاء بعده من المستشرقين والمحدثين فتكلموا عن هذا الموضوع بلغة العصر الجديد.

---

١ رسالة الغفران (٢٠٧) .
٢ رسالة الغفران (٢٠٧ وما بعدها) .
٣ رسالة الغفران (٢٠٨ وما بعدها) .
٤ رسالة الغفران (٢١١ وما بعدها) .

وما ذكره (المعري) في رسالته يمثل رأيه ورأي من تقدم عليه من علماء الشعر في مواضع الانتحال في الشعر الجاهلي وفي نقد الشعر .

ونبه (الجاحظ) في كتبه الى وجود شعر منحول ، وقد نص عليه ، وأشار الى اسم من نسب له ، من ذلك قوله :

« وفي منحول شعر النابغة :

فألفيت الأمانة لم تخنّها كذلك كان نوح لا يخون

وليس لهذا الكلام وجه ، وانما ذلك كقولهم كان داودُ لا يخون ، وكذلك كان موسى لا يخون »[1] .

والنحل في الشعر ليس بأمر غريب ، إذ وقع في غير الشعر كذلك ، وقع ذلك طلباً للغريب وللنادر ، « ذكر بعض مشايخنا رحمهم الله انه رأى مصحفاً منسوباً الى أُبي خالف بعض حروفه حروف هذا المصحف ، لكنا لا نأمن أن يكون ذلك من جهة بعض من يحب الافتخار بالغريب ، فإن هذه بلية قد أضرت بالدين وأخلت بمصالح المسلمين ، وطرقت الملحدين الى الطعن في أركان الاسلام ، وسهلت عليهم الشغب في أمره ، وقد نرى من المفتتنين نواب الملوك ، وعبيد أرباب الأموال ، وأبناء الدنيا اذا لم يجدوا للقرآن وعلوم الدين عندهم موقعاً فيتقربون اليهم بغرائب الكتب ، واذا أعوزهم الغريب الذي يستذرع به أخذوا بعض الكتب المعروفة يزيدون فيها وينقصون ، ويقدمون ويؤخرون ويعنونه بعنوان بعيد ليتسببوا بذلك الى استخراج شيء منهم .

فعلى هذا النحو لا يؤمن أحدهم ان يعمد الى مصحف فيقدم منه سوراً ويؤخر أخرى ، ويحرّف ألفاظاً ، ثم يزعم انه مصحف عليّ أو عبدالله أو مصحف أُبي ، وليس غرض البائس من ذلك إلا أن يحمله الى بعض الملوك فيقول : إنّ خزانة مثلك يجب ألا تخلو من نسخة من كل مصحف ليستخرج من حطامه شيئاً ، ولا يبالي بما كان من جناية على الدين وأهله »[2] .

---

١ الحيوان (٢٤٦/٢) .

٢ مقدمتان في علوم القرآن (٤٧ وما بعدها) ، (أرثر جفري) ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية (١٥) .

ولم يقع نحل الشعر عند العرب وحدهم ، وإنما وقع عند غيرهم كذلك . فقد وقع عند اليونان وعند الرومان وعند الفرس والعبرانيين ، وهو آفة لا تزال حيّة منهم من يضع على ألسنة المتقدمين ، ومنهم من يسرق قول غيره فينسبه نفسه ، وقد ضيقت وسائل النشر والإذاعة من سرقة آراء وأقوال الغير ، وتسجيلها باسم سارق نسبها لنفسه ، غير أن مشكلة تعيين أصول الشعر الجاهلي والنحل القديم ، لا تزال من المشاكل المستعصية ، لأن الوسائل الحديثة لا تتمكن من إحيـاء من في القبور واستنطاقهم عن المنحول والمسروق !

وقد وضع (ابن سلام) قاعدة في كيفية قبول الشعر والأخذ به ، فقال : « قد اختلف العلماء في بعض الشعر ، كما اختلفت في بعض الأشياء ، أما مـا اتفقوا عليه ، فليس لأحد أن يخرج منه » ، وبقوله : « وليس لأحـد ، إذا اجتمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شي منه ، أن يقبل من صحيفـة ولا يروى عن صحفي »[1] . وقد أبدى ملاحظات قيمة في نقـد الشعر ، فأشار الى المزيف منه ، وأظهر تحفظاً في قبـول بعض الأشعار ، لأنها منتحلة ، فلما تطرق الى شعر (طرفة) قال فيه : وشعره مضطرب ذاهب ، لا أعرف لـه إلا قوله :

اقفر من أهله ملحوبُ فالقطبيّـات فالذنوب

ولا أدري ما بعد ذلك »[2] . وذكر أن رواة الشعر وضعوا شعراً كثيراً عـلى (طرفة) و (عبيد بن الأبرص) ، وكانا من أقـدم الفحول ، وقد ضاع معظم شعرهما لذلك ، فوضعوا عليهما الأشعار[3] .

وأنكر أن يكون (النابغة) قد قال :

فألفيتُ الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

وذكر ان أهل العلم أجمعوا على انه لم يقل هذا الشعر[4] ، وله ملاحظات أخرى

---

١ طبقات (٦) .
٢ طبقات (١١٦) .
٣ طبقات (٢٣) .
٤ ابن سلام (٤٩ وما بعدها) .

من هذا القبيل ، تجدها في طبقاته ، فقد شك في أكثر شعر (عبيد بن الأبرص)، ولم يثبت لديه من شعره إلا ثلاث قصائد[1] .

وطريقة (ابن سلام) في قبول الشعر وفي صحته ، هو إجماع علماء الشعر واجتهادهم ، فإذا قرر علماء الشعر قبول شعر ووثقوا به وثبتوه ، صار مقبولاً في نظره ، لأنهم هم الذين يميزون بين الصحيح وبين الفاسد ، « وليس يشكل على أهل العلم زيادة الزواة ، ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون » . فالعلماء هم صيارفة الشعر يستطيعون نقده ، واستخراج الزائف منه ورميه ، وهو لا يبالي بعد ذلك بما روى (ابن اسحاق) وأمثاله من شعر « لا خير فيه ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب : ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسب مستطرف »[2].

أما ما روي من شعر على ألسنة ملوك حمير وأقيال اليمن وأذوائها ، فإن العارفين بالشعر الجاهلي وبأساليبه وبروايته ، يرون انه شعر لا يطمأن الى صحته ، وضع على ألسنة من نسب اليهم . وقد رواه أناس من أهل اليمن ، عرف معظمهم برواية القصص والأساطير ، وعرف بعضهم بروايتهم القصص الاسرائيلي . أما المعروفون بأنهم حملة الشعر الجاهلي وروايته من القدامى ، فلم يرووا شيئاً يذكر من ذلك الشعر . وأما رجال العلم بالنحو وبقواعد العربية ، فلم يستشهدوا به في شواهدهم ، مما يدل على ان لهم رأياً فيه . وقد ذكر أهل الأخبار ان ابن مفرغ يزيد بن ربيعة ، وكان يزعم انه من حمير ، وضع سيرة تُبَّع وأشعاره[3] .

وكان أول من لفت الأنظار ومهد الجادة لمن جاء بعده من المستشرقين الراغبين في دراسة الشعر الجاهلي العالم الألماني (نولدكه) (Theodor Nöldeke) في كتابه ، (Beiträge zur Kenntniss der Poesie der Alten Araber) الذي طبعه سنة (١٨٦٤م). وقد تطرق في مقدمته الى تأريخ ونقد الشعر الجاهلي ، والى ما ورد عن مبدأ هذا الشعر ، وعن ابتدائه بالرجز . وقد ذهب الى أن هذا الشعر الجاهلي الواصل الينا ، والمحفوظ في الكتب ، لا يمكن أن يرتقي الى أكثر من السنة (٥٠٠) للميلاد . ثم تطرق الى التطور الذي أحاق بالأفكار والآراء والمعاني الواردة في

---

١ ابن سلام (٧٦ وما بعدها ، ١١٦) .
٢ ابن سلام (٥ وما بعدها ، ٤٠) .
٣ الأغاني (٥٢/١٧) .

الشعر المقال في أيام الأمويين ، فأبعده من هذه الناحية عن الشعر الجاهلي ، فعزاه الى الحياة الجديدة التي دخل فيها العرب في هذا العهد ، والى التغير الروحي الذي ظهر بين العرب نتيجة خروجهم من البوادي ودخولهم أرضين خصبة ، ذات عمران وحضارة ، وهو تغير يفوق في نظره أثر الدين الجديد ، أي الإسلام في العرب . فبينما كان الشعر الجاهلي[1] ، شعر بدوي ، ظهر وترعرع بين الأعراب وفي البوادي ، وكان أبطاله ورجاله ، يراجعون الإمارتين الصغيرتين : امارة المناذرة وامارة الغساسنة ، نرى هذا الشعر ينمو ويظهر في قصور الخلفاء والولاة والحكام ، وهي كثيرة ، فيها البذخ والمال والترف والنعيم ، وحياة هذه طرازها لا بد وأن تؤثر على مشاعر الشاعر ، فتجعل شعره يختلف في معانيه وفي شعوره عن معاني وشعور الشعر الجاهلي ، وان حاول الشعراء جهدهم المحافظة على القوالب الجاهلية للشعر ، والتمسك بجزالة ذلك الشعر[1] .

ثم تحدث في مقدمته هذه عن الصعوبات التي يواجهها المرء حين يريد فهم هذا الشعر ، ثم أشار الى عمل المستشرقين الذين سبقوه في نشر وترجمة ذلك الشعر الى لغاتهم ، ثم تحدث عن تضارب الروايات واختلافها في نصوصها وعن رواة الشعر الجاهلي ، وعن تداخل الشعر بعضه في بعض في بعض الأحيان ، بحيث يدخل شعر شاعر في شعر غيره ، أو ينسب شعر شاعر لغيره[2] ، ثم عن تغيير وتحوير الأشعار المقالة بلهجات القبائل لجعلها موافقة للعربية الفصحى ، وإن كانت هذه الفروق التي كانت بين اللهجات الشمالية لم تكن كبيرة عند ظهور الإسلام . وتحدث بعد ذلك عن الشعر الوثني وعن ورود أسماء الأصنام فيه ، وعن تجنب الرواة ايرادها ، أو تحويرها بعض التحوير . ثم تحدث عن تعمد الرواة نحل الشعر ، وحمله على ألسنة الشعراء الجاهليين ، وعلى ألسنة الماضين ، وعلى ألسنة الجن والملائكة .

وتطرق أيضاً الى رأي علماء العربية في الشعر الجاهلي ، وفي المعلقات ، ورأي (النحاس) فيها ، ثم تحدث عن تصنيف علماء الشعر للشعراء الى طبقات، وعن

---

١ Beitrage, S. I. f.

٢ المصدر نفسه (ص VIII) .

الأسس التي وضعوها في هذا التصنيف[1] .

وبعد هذه المقدمة التي أخذت (٢٤) صفحة من الكتاب ، ترجم الصفحات الأولى من كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ، الى باب (العيب في الإعراب)، وانتهى منه بقول القائل :

قل لسُليمى اذا لاقيتها هل تبلغنّ بلدة إلا بزاد
قل للصعاليك لا تستحسروا من التماسٍ وسير في البلاد
فالغزو أحجى ما خيّلت من اضطجاع على غير وساد
لو وصل الغيث أبناء امرىءٍ كانت له قبة سحق بجاد
وبلدة مقفرٍ غيطانهـا أصداؤها مغرب الشمس تناد
قطعتها صاحبي حوشيـة في مرفقيها عن الزور تعاد[2]

ثم تطرق في كتابه الى شعر يهود جزيرة العرب ، ثم الى شعر مالك ومتمم ابنا نويرة ، فشعر الخنساء ، ودوّن بعض النماذج من الشعر .

وقد تهيأت للمستشرقين الذين جاءوا بعد (نولدكه) موارد جديدة لم تكن معروفة في أيامه ، بفضل جهود العلماء الذين بعثوها ، بإخراجها مطبوعة ، بعد ان كانت مخطوطة ، قابعة في زوايا النسيان ، بعيدة عن متناول اليد ، فزاد علمهم بالشعر الجاهلي ، وأحاطوا بما فات وخفي عن علم ذلك المستشرق الكبير العالم ، وكوّنوا لهم آراءهم عنه ، نشروها في مقدمات الدواوين ومجموعات الشعر التي أخرجوها ، أو في كتبهم التي وضعوها في الأدب الجاهلي ، وفي مقالاتهم التي نشروها في المجلات . وقد ترجمت بعض منها الى العربية ، ولخصت بعض

---

١ Beiträge, S. IX. وما بعدها

٢ الشعر والشعراء (٦/٤٦) ، Beiträge, 1-42.

منها ، في الكتب العربية التي تناولت الأدب الجاهلي[1] .

وللمستشرق (آلورد) « W. Ahlwardt » ملاحظات قيّمة عن الشعر الجاهلي من حيث الصحة والصنعة والإصالة[2] .

وقد تعرض (بروكلمن) لموضوع الشعر المنحول ، فأشار الى أثر الرواية الشفوية في الوضع ، والى موضوع التدوين وعدم وجوده في الجاهلية ، وأثره في فقدانه على انتحال الشعر ، ثم قال : « ومن ثم يعد خطأ من مرجليوث وطه حسين أن أنكرا استعمال الكتابة في شمالي الجزيرة العربية قبل الاسلام بالكلية ، ورتبا على ذلك ما ذهبا اليه من أن جميع الأشعار المروية لشعراء جاهليين مصنوعة عليهم ، ومنحولة لأسمائهم .

ولكن بديهياً أن الكتابة لم تقض قضاء كلياً على الرواية الشفوية . فقد كان لكل شاعر جاهلي كبير على وجه التقريب راوية يصحبه ، يروي عنه أشعاره ، وينشرها بين الناس ، وربما احتذى آثاره الفنية من بعده ، وزاد عليها من عنده.

---

١ للوقوف على آراء بعض المستشرقين راجع الفصل الثالث من كتاب : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، تأليف الدكتور ناصرالدين الاسد (ص ٣٥٢ وما بعدها) ، وكتاب تاريخ الادب العربي : العصر الجاهلي ، تأليف الدكتور ريجيس بلاشير ، تعريب الدكتور ابراهيم كيلاني (بيروت : دار الفكر) ،
Th. Nöldeke, Die Semitischen sprachen, S. 47.
Th. Nöldeke, Funf Mo'allaqat, Wien, 1899, 1900, D. S. Margoliouth, The Origine of Arabic Poetry, In Journal Royal Asiatic Society, 1925, pp. 417-449, Encyclopaedae of Religion and Ethics, Vol. 8, p. 874, G. Richter, Zur Entstehungs Geschichte der Altarabischen Quaside, In ZDMG., XCII, (1938), W. Muir, Ancient Arabic Poetry, In JRAS, (1875), Krenkow, The Use of the Writing for the Preservation of Ancient Arabic Poetry, Cambridge, 1022, E. Bräunlich, Versuch einer Literargeschichtlichen betrachtungsweise Altarabischer Poesien, In Der Islam, XXIV, 1937, S. 201-269, G. Von Grunebaum, Die Wirklichkeite der Früharabischen Dichtung, Wien, 1937, G. Von Grunebaum, Zur Chronologie der Früharabischen Dichtung, In Orientalia, VIII, 1939, pp. 328-345, Ahlwardt, The Diwans of the Six Ancient's Arabic Poets, London, 1870, R. Geyer, Beiträge zur Kenntnis Altarabischer Dichter, in Wiener Zeitschrift fur die Kunde des Morgenlandes, XVIII, 1904, S. 5, Delitzsch, Jüdisch-Arabische Poesien aus Vormuhammedanischer Zeit, Leipzig, 1874.

٢ W Ahlwardt, Bemerkungen über die Echtheit der Alten Arabische Gedichte, Greifswald, 1872.

وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفوية ولا يستخدمون الكتابة إلا نادراً .

وعن الرواة كانت تنتشر الدرايـة بالشعر في أوساط أوسع وأشمل ، بعد أن يذيع في قبيلة الشاعر نفسه . ولهذا لم يمكن التحرز عن السقط والتحريف ، وإن لاحظنا أن ذاكرة العرب الغضة في الزمن القديم كانت أقدر قدرة لا تحدّ عـلى الحفظ والاستيعاب من ذاكرة العالم الحديث .

ولم يبدأ جمع الشعر العربي إلا في عصر الأمويين ، وإن لم يبلغ هذا الجمع ذروته إلا على أيدي العلماء في عصر العباسيين ، بيد أن معنى التحري في وثـوق الرواية ، والتدقيق في النقل اللغوي على النحو الذي نعرفه في عصرنا هذا ، كان أمراً غريباً بعد على جماع ذلك العصر . ولما كان كثير من هؤلاء الجمّاع أنفسهم شعراء ، فقد ظنوا أنه ليس من حقهم فقط ، بل ربما كان واجباً عليهم أيضاً في بعض الأحيان أن يصلحوا ما رووه للشعراء القدماء أو يزيدوا عليه . فلا عجب إذا لم يبالوا أيضاً بالوضع والإختراع لتوثيق رواياتهم . وقد أراد حماد الراوية أن يفسر تفوقه ، والتفوق المزعوم لأصحابه الكوفيين في الدراية بالشعر القديم ، فزعم أنه وجد الشعر الذي كتب بأمر النعمان ودفن في قصره الأبيض بالحيرة ، ثم كشف في أيام المختار بن أبـي عبيد .

لقد غير الرواة بعض أشعار الجاهلية عمداً ، ونسبوا بعض الأشعار القديمة الى شعراء من الجاهلية الأولى ، كما يمكن أن يكون وضع أشعار قديمة ، منحولـة على مشاهير الأبطال في الزمن الأول لتمجيد بعض القبائل،أكثر مما نستطيع اثباته .

على أنه بالرغم من كل العيوب التي لم يكن منهـا بد في المصادر القديمة ، يبدو أن القصد الى التشويه والتحريف لم يلعب إلا دوراً ثانوياً . وقد روى علماء المسلمين أشعاراً للجاهليين تشتمل على أسماء الأصنام وعبادتها ، وإن أسقطوا أيضاً أبياتاً أخرى لشبهات دينية ، وذلك في حالات يبدو أنها قليلة ، لأن الشعور الديني لم يكن غالباً على نفوس العرب في الجاهلية »[1] .

وقد جاء المستشرق (كارلو نالينو) في محاضراته التي ألقاها بالجامعة المصرية في سنة ١٩١٠ — ١٩١١ م ، بشيء جديد في طريقة التحدث عن الأدب العربي

---

١ بروكلمن (١/٦٤ وما بعدها) .

من الجاهلية حتى عصر بني أمية ، فقد عرضه عرضاً جميلاً واضحاً ، مستعملاً ملاحظات أئمة العربية عنه ، مع بيان ملاحظاته وآرائه فيه ، وقد أحدثت محاضراته هذه أثراً في كيفية دراسة الأدب العربي ، لا بمصر وحدها ، بـــل في الأقطار العربية التي كانت تتابع ما يحدث في مصر من تطور ثقافي[1] .

وهو وإن لم يأت في كتابه برأي جديد مثير ، إذ كانت أفكـــاره وسطاً في الواقع بين القديم وبين الجديد ، إلا ان طريقة عرضه لآرائه وأسلوبه في بحثه وفي تحدثه عن الشعراء ، كانت طريقة جديدة غريبة بالنسبة لدارسي الأدب العربي في ذلك الوقت ، ولدت شوقاً في نفوس الدارسين للأدب العربي في ذلك الوقت الى السير على الطريقة الغربية في نقد الأدب وفي تقبله وتحليله ، وأولدت الشك في الوقت نفسه في الروايات القديمة المروية عن الأدب العربي ، التي كان يتمسك بها القدماء تمسكهم بنصوص كتاب سمـــاوي مقدس ، باعتبار انها روايات تتعلق بالماضي وبالتراث . ومن التجني على العربية والاسلام التعرض لها بأي سوء ، وفي جملة ذلك الشك في صحتها والنيل منها والحاق الأذى بها .

وتطرق المستشرق الانكليزي (مركليوث) في بحثه : (أصول الشعر العربي) « The Origins of Arabic Poetry » الى الشعر الجاهلي ، وقد ذهب الى ان أكثر هذا الشعر منحول ، صنع في الاسلام ووضع على ألسنة الجاهليين . وقد أورد فيه الأدلة والبراهين التي استدل بها على إثبات رأيه . وقد لخصت آراؤه هذه ونقلت الى العربية ، فلا أجد حاجة الى البحث عنها ، ما دام غيري قد سبقني الى هذا العمل[2] .

وقد رأى بعض المستشرقين ان علماء اللغة أدخلوا تغييراً على نصوص الشعـــر الجاهلي ، لما وجدوا ان قواعدها لا تتفق مع القواعد التي استنبطوها من القـرآن والحديث ، أي من لغة قريش ، ولذلك عدّلوها ليكون إعرابها ملائماً لما وضعوه من قواعد النحو . وهو رأي يتناقض مع رأي المستشرقين القائلين بأن القرآن انما نزل بلغة عربية مبينة كانت فوق اللهجات وفوق اللغات،ولم ينزل بلهجة قريش،

---

١ كارلو نالينو ، تأريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية ، (دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٠ م) .

٢ مصادر الشعر الجاهلي (٣٥٢ وما بعدها) ، ريجيس بلاشير ، تأريخ الادب العربي (١٧٧ وما بعدها) .

ورأيهم ان ما ورد من نزول القرآن بلسان قريش ، انما هو رأي ظهر في الاسلام، ظهر ببروز النزاع الذي كان بين الأنصار والمهاجرين ، أدى الى التعصب لقريش والى تقديمهم على كل العرب بحجة ان الرسول منهم ، وانه ولد بينهم ، فيجب أن تكون لغته لغتهم ، وان يكون نزول الوحـــي بلسانهم ، فهو رأي برز عن نوازع دينية وسياسية ، مجدت قريشاً ، لأن في تمجيدهم تمجيد على رأيهم لرسالة الاسلام[1] .

ونظرية وقوع التعديل والتغيير والاصلاح في أصول الشعر الجاهلي ، رأي قال به علماء العربية قبل المستشرقين ، إذ نجد في كتبهم إشارات الى تعديل أو تهذيب أو تغيير أحدثه (أبو عمرو) ، أو (الأصمعي) أو غيرهما على لفظة أو بيت ، لاعتقادهم بعدم انسجام أصل ما غيروه مع المعنى أو مع قواعد اللغة ، أو لمخالفته للعروض ، أو لوقوع تصحيف ، فصححوا ما صححوه ، بدافـــع عدم إمكان صدوره من شاعر جاهلي قديم . وفي رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعري ، أمثلة كثيرة على ذلك ، وقد خطأ الاقدام على التعديل ، ودافـــع عن وقوع الزحاف والإقواء في الشعر الجاهلي ، معتبراً ذلك شيئاً لم يكن عيباً في الشعر عند الجاهليين، لأنه كان أمراً مألوفاً عندهم ، وقد ذكرت رأيه في مواضع من هذا الكتاب .

وتتبع المرحوم (مصطفى صادق الرافعي) ، ما جاء في التراث العربي عن الأدب العربي ، فدوّنه في كتابه (تأريخ آداب العرب) تدويناً يدل على إحاطة جيدة بما جـــاء في كتب الأسلاف من أخبار عن الشعر وأصحابه وعن انتحاله والعوامل التي دعت الى الغش فيه ، وإدخال ما ليس منه فيه ، وقد خالف رأي من قال بتعليق (المعلقات) ، ومخالفته هذه تعدّ فتنة بالنسبة لرواد الشعر وللمعجبين به بالنسبة لذلك اليوم[2] . ويعـــدّ كتابه من الكتب القيمة المدوّنة بالعربية بالنسبة لتلك الأيام ؛ فهو رصين حوى خلاصة ما ذكره السلف عن أدب العرب ، وإذا نظرنا الى عمره يوم ألفه والى أسلوب دراسته ، نجد أنه كان من نوادر المؤلفين في ذلك العهد .

وأحدث كتاب الدكتور (طه حسين) : « في الشعر الجاهلي » رجّة عنيفة

---

١ Nicholson, A Literary History of The Arabs, p. 134.

٢ تأريخ آداب العرب (١/٣٦٥ ـ ٣٩١) ، (٣/١٨٦ وما بعدها) .

في مصر وفي البلاد العربية الأخرى ، لما جـاء فيـه من آراء خالفت المألوف والمتعارف عليه عند علماء العربية آنذاك الذين كانوا يسيرون على الجادة القديمة في دراسة أدب العرب،ولما تضمنه من عبارات اعتبرت نابية فيها تهجم على المقدسات . فشكي الى الحكومة ، ورفع أمره الى القضاء ، فكان أن غير عنوانه بعض التغيير فصار : « في الأدب الجاهلي » ، وحذف منه فصل ، وأثبت مكانـه فصل ، وأضيفت اليه فصول[1] . وقد لقي الكتاب نقداً شديداً في مصر وفي خارجهـا ، من جانب المحـافظين الحروفيين ، إذ رأوا فيه هدماً للتراث العربي وللمألوف المتوارث ، بينما لقي قبولاً حسناً من جانب الشباب والجيل الجديد ، الذين تأثروا بالمؤثرات الثقافية الحديثة وأخذوا يجاهرون بنقد الأوضاع القائمة الجامدة، وسرعان ما دخل هذا النقد ميدان العراك الذي كان قد وقع آنذاك بين المحافظين وبـين المصلحين الذين كانوا يدعون الى اصلاح المجتمع بصورة عامة وإيقاظ العقل من سباته ، والذين كانوا ينادون بإصلاح كل ما يخص هذه الحياة من مادة وروح .

ووجود شعر جاهلي منحول ، أو وجود شعر منحول ، صنع وصيغ على ألسنة الجاهليين بتعبير أصح ، قول لا يختلف فيه أحد ، لا يختلف فيه علماء العربية عن المستشرقين ، ولا القدماء عن المحدثـين ، ولا المحافظون المتزمتون عن المدعين بالتقدمية والتجديد ، فكلهم مجمعون على وجوده، وكل منهم أثبت وجوده بطرقه وبأساليبه التي كانت متبعة في زمانه في طرق النقد ، فهم في هذه القضية متفقون تماماً ولا خلاف بينهم فيه ، اللهم إلا في شيء واحد ، هو : سعة حجم المصنوع بالنسبة الى حجم الصحيح من الشعر ، فمنهم من يزيد في نسبـة حجم المصنوع حتى يغلبه على الصحيح ، بل يجعل الصحيح منه شيئاً ضئيـلاً ، بالنسبة اليه ، ومنهم من يقلل هذه النسب الى درجات قد يصيرها بعضهم دون الشعر الصحيح بكثير .

وأول أسباب نحل الشعر : العصبيات التي عبر عنها (ابن سلام) بقوله : « قال ابن سلام : فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم،وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار،فقالوا على ألسن شعرائهم،

---

١ (مقدمة الطبعة الثانية) ، (القاهرة ١٩٢٧ م) .

ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار »[1] . من ذلك ما فعلته (قريش) ، الذين كانوا — كما يذكر أهل الأخبار — أقل العرب شعراً وشعراء ، فلما نظروا فإذا حظهم من الشعر قليل في الجاهلية ، استكثروا منه في الاسلام[2] .

ومن هذا القبيل ما نسب الى قدماء أهل اليمن من شعر ، ومـــا أضافوه من شعراء وشعر ، فجعلوا للتبابعة شعراً فيه تبجح بأعمالهم وبما قاموا بـــه من فتوح هزت الدنيا في يومها امتدت من أقصى طرف من الأرض الى أقصى طرفها الآخر من (الصين) الى (روما) ، والى آخر المعمور الممتد على البحر المظلم ، وفيه إيمان بالله وبملائكته ، وتبشير بظهور الرسول ، وأسف شديد لأنهم ولدوا قبل زمانه ، فلم يسعدهم الحظ بإدراكه ، وهم لو أدركوه لكانوا أول المؤمنين به ، وأول المدافعين عنه ، وحيث حرموا من هذه النعمة ، نعمة ملاقاته لإعلان إيمانهم به أمامه ، فهم يدعون من يأتي بعدهم ممن سيدرك أيامه الى الذبّ عنه والدخول في دينه . فيقول (الرائش) منهم ، وهو (الحارث) ، في شعر له ، ذكر فيه من يملك منهم ومن غيرهم :

ويملك بعدهم رجل عظيم نبي لا يرخص في الحرام
يُسمّى أحمداً يا ليت أني أعمر بعـــد مَخرجه بعام[3]

وإذا عرفت أن هذا (الرائش) ، كان قد حكم قبل (بلقيس) ، وبلقيس معاصرة (سليمان) على زعم أهل الأخبار ، وقد كان حكم (سليمان) في حوالى السنة (٩٦٩) قبل الميلاد[4] ، أدركت كم سيكون إذن عمر هذا الشعر المنسوب الى (الحارث) الرائش ، الذي لقب بهذا اللقب ، لأنه كان أول من راش الناس، أي أول من غزا من أهل اليمن ، وأول من أصاب الغنائم والسبي ، وأدخلهـــا اليمن ، فراش الناس[5] .

---

١ طبقات (١٤) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٦٢) ، الرافعي (١/٣٦٧) ، في الادب الجاهلي (١٢٢) .
٣ المعارف (٦٢٧) .
٤ Hastings, p. 868.
٥ المعارف (٦٢٦) .

وبالمعنى المتقدم نطق (التبع) : (تبع بن كليكرب) ، حيث قال :

شهدتُ على أحمد انه رسولٌ من الله باري النسم
فلو مُدّ عمري الى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

ولم يكتف أهل الأخبار بكل هذا ، بل زعموا انه كان كسا البيت وانه قال في ذلك :

وكسوت بيت الله غير كسائه حذر العقاب ليرحم الرحمن
ومقالة الحبرين واليوم الذي يتلى الكتاب وينصب الميزان[1]

وزعموا ان التبع (تبع بن حسان) ، أو (تبع الأوسط) كسا البيت الحرام وأطعم الناس بمكة ، وقوّلوه هذا البيت :

فكسونا البيتَ الذي حرم الله ـه ملاءً معضداً وبرودا[2]

فالتبابعة هم أول من كسا البيت ، وأول من آمن بالله وبرسوله ، كانوا مسلمين قبل ظهور الاسلام ، وقبل ميلاد الرسول بعشرات المئات من السنين .

ونسبوا لذي جدن الحميري الملك شعراً ، ذكر فيه الموت ، حيث يقول :

لكل جنب اجتبى مضطجع والموت لا ينفع منه الجزع
اليوم تجزون بأعمالكم كلُّ امرىء يحصد مما زرع
لو كان شيء مفلتاً حتفه أفلت منه في الجبال الصدّع

ونسبوا له أشعاراً أخرى[3] . وذو جدن من أذواء اليمن ، والأذواء بعضهم ملوك وبعضهم أقيال ، والقيل دون الملك ، والمِقوَل : القيل أيضاً بلغة أهل اليمن . وقد ذكر صاحب (خزانة الأدب) أسماء عدد من الأقيال[4] . فذو جدن هذا شاعر ، متفلسف يذكر الناس بالموت وبما بعد الموت ، حيث تجزى كل نفس

---

١ المعارف (٦٣١) .
٢ المعارف (٦٣٥) .
٣ الخزانة (٢/٢٨٧ وما بعدها) .
٤ الخزانة (٢٨٩ وما بعدها) .

بما كسبت ، ويحصد كل امرىء ما زرعه بيديه في دنيـــاه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرّ ، ولن يفلت أحد من الموت ، وهيهات له ذلك .

ونجد في شعر التبابعة أشعاراً في الحكم وفي الحث على مكارم الأخلاق ، وفي حروبهم وفتوحاتهم التي تشبه فتوحات الإسكندر والفتوحات الإسلامية فيما بعد ، فتوحات سبقت الفتوحات الإسلامية بمئات من السنين ، حاول صانعوها المبالغـــة فيها ، حتى صيروا الفتح الاسلامي وكأنه ذيل لتلك النتوج القحطانية التي زرعت (حمير) في الصين وفي تركستان ، صنعوا ذلك في الإسلام ، لما تبجح عليهم العدنانيون بالإسلام وببلوغه الصين والمحيط الأطلسي .

وذكر أن الشاعر (يزيد بن ربيعة بن مفرغ) الحميري[1] ، كان ممن أذاع أسطورة (تبع) ، وكان يتعصب الى اليمن[2] ، ولعله هو الذي وضع أكثر الشعر المنسوب الى (التبابعة) ، وكان (عبيد بن شرية) الجرهمي ، ممن صنع الشعر على ألسنة التبابعة وغيرهم ، وأضافه اليهم[3] . ونجد في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني وفي الإكليل ، وهو من كتبه أيضاً ، شعراً كثيراً يرويه على أنـــه من شعر التبابعة ، ومن شعر عاد وثمود ، وسادات حمير ، وهـو مصنوع من دون شك ، صنعه المتعصبون لليمن من اليمانية ، وقد كانت العصبية قد أخذت مأخذها في الإسلام . والهمداني نفسه من المتعصبين لليمن قبله . وأدخله في كتبه دون أن يُسائل نفسه عن كيفية وصول ذلك الشعر من أفواه قائليه اليه ، مع بعـد الزمن وتقادم العهد ، وتكلم أهل اليمن في القديم بكلام لا يشابه كلام الشعراء .

ويدخل في هذه العصبية الشعر المنسوب الى الشعراء في هجاء قحطان أو عدنان أي في هجاء القحطانية أو العدنانية بتعبير أدق ، من ذلك القصيدة التي صنعوها على لسان (الأفوه الأودي) الشاعر الجاهلي ، الذي هو من (مذحج) ، ومذحج من اليمن ، التي أولها :

إن ترى رأسي فيه نزع وشواي خلة فيها دوار[4]

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٧٦) ، الاغاني (١٧/٥١) ، الخزانة (٢/٢١٠ ، ٥١٤) .

٢ الاغاني (١٧/٥٢) .

٣ Von Kremer, Die Südarabische Sage, S. VII, 78, Nicholson, A Literary History of the Arabs, p. 19.

٤ الشعر والشعراء (١/١٤٩) ، العيني (١/٤٢١) ، الاغاني (١١/٤١) ، معاهد التنصيص (٢/١٥٩) .

وهي قصيدة فيها هجاء لبني نزار ولبني هاجر ، صنعت ولا شك في الاسلام. وقد زعم ان النبي نهى عن روايتها . واذا كانت القصيدة مصنوعة ، أو ان أبيات الهجاء منها مصنوعة على الأقل ، كان حديث النهي عن روايتها مصنوعاً أيضاً ، لأن هذا الصنع انما وقع في الاسلام .

ومن فرسان العصبية اليمانية الشاعر (حسان بن ثابت) ، فقد كان من المتحاملين على قريش ، ومن المتعصبين ليثرب ولليمن على قريش ومعدّ . مع ان الرسول نهى عن أمر الجاهلية ، فكان يجالس قريشاً وهو في اسلامه،وينشد الناس ما قالته الأوس والخزرج في قريش ليشفي بذلك غليله . وكان الخليفة (عمر) قد نهى أن ينشد الناس شيئاً من شعر الهجاء الذي كان بين الأنصار ومشركي قريش حذر تجديد الضغائن ، ومع ذلك فإن عصبية حسان لمدينته ولليمن كانت تدفعه على مخالفة ما أمر به[1] .

ومن هذا القبيل ما فعلته قريش بشعر حسان . فقد « حمل عليه ما لم يحمل على أحد ، لما تعاضهت قريش ، واستبت ، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تليق به »[2] ، وقد وضعت قريش وأشياعها المتعصبون للعدنانية أشعاراً أخرى على ألسنة بقية شعراء يثرب ، أرادت من وضعها الحط من شأنهم ، وإلحاق السخف والركة بشعرهم وبهم ، وفعل غيرهم فعلهم في إضافة الشعر الى من كانوا يكرهونه ، للنيل منه ، فنسبوا اليهم شعراً سخيفاً مشيناً ، أو فيه تحامل وقدح على بعض الناس ، للإساءة اليهم بظهور هذا الشعر وانتشاره .

وقد ذكر (ابن سلام) أن (قدامة بن عمر بن قدامة) الجمحي ، نحل شعراً على (أبي سفيان بن الحارث) للنيل منه ، وأن قريشاً تزيد في أشعارها تريد بذلك الأنصار والردّ على حسان[3] . وورد أن (قتادة بن موسى) الجمحي هجا (حسان بن ثابت) بأبيات ونحلها (أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب)[4]. وكان الأنصار يقظون،واقفون لقريش بالمرصاد ، وكانت قريش يقظة كذلك، إذا سمعت شاعراً مدح الأنصار ولم يمدحها استاءت منه . فلما قدم (كعب بن

---

١ الاستيعاب (١/٣٣٧ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٥٢) .
٣ ابن سلام ، طبقات (٦٢) .
٤ الاصابة (٣/٢١٧) ، (رقم ٧٠٧٧) .

زهير) يثرب معتذراً عن كفره ، معلناً إسلامه أمام الرسول ، مـدح قريشاً وعرّض بعض التعريض بالأنصار لغلظتهم كانت عليه ، تجهمته الأنصار وغلظت عليه ، ولانت له قريش ، غير أنها لم ترض عن مدحه ، إذ وجدته قليلاً ، وأنكرت عليه ما قـال ، إذ قالت له : « لم تمدحنا إذ هجوتهم ، ولم يقبلوا ذلك » منه[1] . ولما قـدم (الحطيئة) المدينة أرصدت له قريش العطايا ، فعلت ذلك ليخلص لها في المدح ، وليصرف مدحه عن الأنصار[2] .

وندخل في هذه العصبية ، العصبية الى البيوتات ، فقد كان قوم (سعيد بن العاص بن أمية) يذكرون أن (سعيداً) كان اذا اعتم لم يعتم قرشي إعظاماً له، وينشدون :

أبو أحيحة من يعتـم عِمّته يُضرَبْ وإن كان ذا مال وذا عددِ

ويذكر (الزبيريون) ان هذا البيت باطل مصنوع[3] .

ولم تتورع العصبية والخصومات من الكذب عمداً على النـاس ومن الطعن في الأنساب . فلما اعترض (مزرد) أخو الشمّاخ ، وكان عريضاً ، (كعب بن زهير) عزاه الى (مزينة) ، وكان (أبو سُلمى) وأهل بيته في (غطفان) ، فقال كعب بن زهير شعراً يثبت انه من مزينة ، « وقد كانت العرب تفعل ذلك ، لا يعزى الرجل الى قبيلة غير التي هو منها ، إلا قال : أنا من الذين عنيت . كان أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبي حارثة لاحى النابغة فنماه الى قضاعة » ، فقال شعراً يثبت انه منها[4] . وهناك أمثلة عديدة من هذا القبيل ، أدت الى وقوع النسابين في أخطاء بسبب هذه الأكاذيب .

وقد ساهم الخلفاء الأمويون في هذه العصبية ، ساهموا حتى في التزام العلـماء والشعراء . « جمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهري ، فغلب قتادة الزهري، فقيل لسليمان في ذلك ، فقال : انه فقيه مليح . فقال (القحذمي) : لا ، ولكنه

---

١ ابن سلام ، طبقات (٢٠ وما بعدها) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٢٤) .
٣ المزهر (١/١٨١) .
٤ ابن سلام ، طبقات (٢١ وما بعدها) .

تعصب للقرشية ، ولانقطاعه كان اليهم ، ولروايته فضائلهم »[1] .

وكان (معاوية) يتعصب لليمن على قيس، وذلك بسبب زواجه من (كلبية)، مع أنه من عدنان . حتى صار من فرط تعصبه لليمن لا يفرض إلا لهم، ولم يزل كذلك حتى كثرت اليمن وعزت قحطان ، وضعفت عدنان ، فبلغ معاوية أن رجلاً من اليمن قال : هممت أن لا أحل حبوتي حتى أخرج كل نزاري بالشام ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس . وكان معاوية يغزي اليمن في البحر وتميماً في البر ، وفي ذلك يقول (النجاشي) شاعر اليمن :

ألا أيها الناس الذين تجمعوا بعكا أناس أنتم أم أباعر
أيترك قيساً آمنين بدارهم ونركب ظهر البحر والبحر زاخر
فوالله ما أدري وإني لسائل أهمدان تحمي ضيمها أم يحابر
أم الشرف الأعلى من أولاد حمير بنو مالك أن تستمر المآثر
أأوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

فرجع القوم جميعاً عن وجههم ، فبلغ ذلك معاوية ، فسكن منهم . وقال : أنا أغزيكم في البحر لأنه أرفق من الخيل وأقل مؤونة ، وأنا أعاقبكم في البر والبحر ففعل ذلك[2] .

وأوجدت هذه العصبية كثيراً من الشعر المصنوع ، روي على انه من شعر التبابعة ، صنع ولا شك في الاسلام ، حين بلغت العصبية العدنانية والقحطانية ذروتها في أيام الأمويين فما بعد . فلما نظر اليمانيون الى أنفسهم ، واذا بالحكم لغيرهم . وقد كانت لهم دولة قبل الاسلام ، ثم إذ بهم يحكمهم من كان دونهم في الجاهلية ، أخذتهم العزة ، ودفعتهم العصبية على الاحتماء بالماضي ، وإعادة ذكرياته ، وما كان لهم من مآثر ، ولأجل توكيد ذلك وتثبيته ، لجأوا الى الشعر ، ولم يكن لهم شعر في الجاهلية بهذه العربية التي نعرفها ، لأنها لم تكن عربيتهم ، فصنعوا شعراً كثيراً بهذه العربية ، نسبوه الى التبابعة ، وارتفعوا به الى عهود جاوزت الحد المألوف الذي حدده علماء الشعر ، لتأريخ ظهور (القصيد) عند

---

١ البيان والتبيين (١/٢٤٣) .
٢ الخزانة (١/٤٦٦ وما بعدها) .

الجاهليين ، تجد الكثير منه مدوناً في الكتب التي تتعاطف مع اليمانية ، مثل كتب الهمداني ، ونشوان بن سعيد الحميري .

ولما كان هذا الشعر هو في ذكريات أيام اليمن الماضية وأحوالها القديمة ، وفي أخبار ملوك حمير وأعمالهم ، اتخذ أسلوب القص والفخر ، فكثرت أبيات القصائد أحياناً ، وارتبطت الأبيات في المعاني بعضها ببعض ، نظراً لاقتضاء طبيعة القص والأساطير ذلك ، وهو يفيدنا من ناحية الوقوف على الأساطير اليمانية القديمة التي أوجدتها مخيلتهم عن تأريخهم القديم ، وفي تطور أسلوب القص في الشعر .

ويظهر من عبارة (الآمدي) : « وهي أبيات تروى لامرىء القيس بن حجر الكندي ، وذلك باطل ، إنما هنّ لامرىء القيس الحميري ، وهي ثابتة في أشعار حمير »[1] ، أنه قد كان لحمير ديوان فيه أشعارهم ، أو أن قوماً منهم أو من غيرهم جمعوا شعر حمير ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلا بد أن يكون هذا الجمع قد وقع في الإسلام ، وأن ما فيه من شعر جاهلي ، هو من الشعر المصنوع .

ومن العصبيات عصبية قريش على ثقيف . فقد كانت بين قريش وبين ثقيف خصومة ، بسبب طمع أهل مكة في الطائف ، وشراء سادات قريش الملك في الطائف لاستغلاله ، مما جعل ثقيفاً يكرهون أهل مكة . ثم عامل آخر ، ظهر في الاسلام ، هو كره أهل العراق للحجاج ، مما جعلهم يذمونه ويذمون ثقيفاً معه . فزعموا أن قومه من بقايا ثمود ، وذلك في أيام الحجاج . « رووا أن الحجاج قال على المنبر يوماً : تزعمون أنا من بقايا ثمود ، وقد قال الله عزّ وجل : وثموداً فما أبقى »[2] . وذكر (الجاحظ) ، زعم الناس هذا في أصل ثقيف ، وذكر أن مثل ثمود كمثل (بني الناصور) ، فقد هلكوا في الجاهلية ، كما هلك غيرهم من الأمم البائدة ، وذكر أن هناك من قال إن أصل (بني الناصور) من الروم[3] .

وقد وجدت العصبية مرتعاً خصباً بين الموالي والعبيد ، فساهموا فيها أيضاً . فلما رأى (جرير) (الحَيْقطان) يوم عيد في قميص أبيض وهو أسود ، قال:

---

١ المؤتلف والمختلف (٩) ، (عبدالستار أحمد فراج) .
٢ البيان والتبيين (١/١٨٧ وما بعدها) .
٣ البيان والتبيين (١/١٨٧) .

كأنه لما بدا للناس أير حمار لُفّ في قرطاس

فلما سمع بذلك (الحَيقطان) وكان باليمامة ، دخل الى منزله فقال شعراً افتخر فيه بالنجاشي وبالسودان ، وبلقمان وبأبرهة وذم قريشاً ومضرَ ، وتحامل عليها ، ففرحت اليمانية به ، وأخذت تحتج به على العدنانية ، واحتج بها العجم والحبش على العرب[1] .

ويلاحظ ان الحبش قد تعصبوا أيضاً على العرب في الاسلام،وتفاخروا بملوكهم وبأبرهة ، وقد كان لازدراء الأغنياء لهم ، وتسخير أصحاب المال لهم في أداء الأعمال الحقيرة ، ونظرتهم اليهم نظرة ازدراء وتحقير ، فلم يصاهروهم، ولم يروا انهم أكفاء لهم ، مثل العجم على الأقل ، أثر في إثارة هذه الضغينة في نفوسهم وفي وقوفهم موقف الضد من العرب . وقد تعرض (الجاحظ) لذلك ، فقال : « وقد قالت الزنج : من جهلكم انكم رأيتمونا لكم أكفاء في الجاهلية في نسائكم، فلما جاء عدل الاسلام رأيتم ذلك فاسداً » . ثم روى على لسانهم ما قاله بعض الشعراء مثل النمر بن تولب ، ولبيد من مدح أبرهة ، ثم أعقب ذلك بذكر من برز وظهر من الزنوج[2] .

ومن أسباب النحل دوافع نشأت عن عاطفة دينية ، رأت أن في نحل الشعر على ألسنة الجاهليين ، عملاً ليس فيه ضرر ولا اساءة ، بل فيه منفعة من ناحية التوعية الدينية والحث على التدين والتزهد ، وعمل الخير والإيمان بدين الله،فروت الأشعار على ألسنة المتقدمين في التبشير بظهور الرسول ، قبل ميلاده بأمد ، وفي الحث على نبذ الوثنية والإيمان بإلَه واحد . نظم على لسان القحطانيين وعلى لسان العدنانيين ، الذين عاشوا قبل الإسلام،كما نظم على ألسنة الجن والهواتف والكهنة .

ومن هذا القبيل ما قيل من شعر في التوحيد وفي الذب عن الاسلام على لسان (أبي طالب) وغيره ، وفي مدح قريش ، وجعلها القبيلة المختارة التي اصطفاها الله من بين سائر العرب ففضلها على العالمين ، بأن جعلها الصفوة ، وجعل لسانها اللسان الذي نزل به القرآن ، فعل أصحاب الصنعة ذلك لنوازع مذهبية، ولعصبية

---

١ رسائل الجاحظ (١/١٨٢ وما بعدها) ، (فخر السودان على البيضان) .
٢ رسائل الجاحظ (١/١٩٧ وما بعدها) ، (فخر السودان على البيضان) .

قبلية سياسية ، ذات صلة بالعواطف الدينية ، فلم يكن يهن على أهل يثرب مثلاً التسليم بسيادة قريش عليهم ، فكان ما كان من وضع قريش الحجج التي تؤيد قريشاً في الجاهلية ، وتجعلهم أفضل العرب على الاطلاق،وما كان الأنصار ليقبلوا ذلك بالطبع،فأوجد صناعهم فخراً وسبقاً لهم على قريش ، بأن قالوا إنهم الأنصار وأنهم نصروا رسول الله منذ سمعوا بالإسلام ، فلما سمع (أبو قيس بن الاسلت) وهو من الأوس ، مقالة (أبي طالب) :

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

حين أرادوا منه تسليمهم النبي، أرسل اليهم قصيدة ينهى فيها قريشاً عن الحرب، ويأمرهم بالكفّ عن رسول الله ، إذ يقول :

يا راكباً اما عرضت فبلغن مغلغلة عني لؤي بن غالب

وهي قصيدة طويلة دوّنها (ابن هشام) في سيرته[1] ، اذا قرأتها خرجت منها ان صاحبها انما أراد من صنعها على لسان (ابن الأسلت) إظهار ان أهل يثرب كانوا أول من دافع عن الرسول والاسلام ، وانهم كانوا أول المؤمنين به ، إذ كفرت قريش بدين الله . مع انه مات مشركاً ، ولم يثبت انه دخل في الاسلام[2] .

والقصيدة بعد من صنع أناس من الأنصار ، لعلهم كانوا من صلبه ، وجدوا ان من السهل وضع الشعر على لسانه ، فقد كان شاعراً معروفاً ، وكان من سادة يثرب ومن الوافدين على مكة ، وله فيها أصحاب ودالة ، وفي صنع هذا الشعر فخر للأنصار عظيم ، فنسبوا له تلك القصيدة ، وجعلوها جواباً لاستغاثة (أبي طالب) في قصيدته التي قال ما قال فيها في حق قريش وفي تعنتها تجاه الرسول والاسلام .

ومن هذا القبيل ، تطويلهم القصيدة المنسوبة الى أبي طالب التي قيل انه قالها في النبي ، وهي :

---

١ سيرة (١/١٨٠) ، (حاشية على الروض) .

٢ الاصابة (٤/١٦٠) ، (رقم ٩٤٤) ، الاستيعاب (٤/١٥٩ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقد زيد فيها وطولت ، بحيث صار لا يعرف أين منتهاها[1] . وقد أورد ابن هشام أشعاراً نسبها الى (أبي طالب) منها قصيدته التي رد فيها على قريش حين عرضت عليه تسليم النبي لهم ، على أن يعطوه في مقابله (عمارة بن الوليد) ، وقد دوّنها (ابن هشام) ، وذكر انه ترك منها بيتين أقذع فيهما[2] . ومنها قصيدته :

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وهي قصيدة طويلة ، قال عنها (ابن هشام) : « وبعض أهل العلم ينكر أكثرها »[3] .

ومن هذا القبيل ما وضع من شعر في الأحداث التي وقعت بين المسلمين والمشركين في أيام الرسول ، مثل معركة بدر ، وبقية المعارك . فقد وضع الناس شعراً كثيراً على لسان المسلمين والمشركين ، ونجد (ابن هشام) يقول في تعليقه على شعر لأبي أسامة معاوية بن زهير ، وكان مشركاً ، وقد مرّ بهبيرة بن أبي رهم ، وهو منهزم : « وهذه أصح أشعار بدر »[4] ، ونجد (ابن هشام) ، يعلق ويصحح ويشكك في صحة بعض هذا الشعر الذي أخذه من (ابن اسحاق) ، وقد طُعن على (ابن اسحاق) ، لأنه أخذ مثل هذا الشعر فأدخله في السيرة ، مع أنه شعر مصنوع[5] .

ومن هذا القبيل ما روي من أن امرأة من حضرموت ثم من (تنعة) صنعت لرسول الله كسوة ، أرسلتها مع ابنها (كليب بن أسد بن كليب) الى رسول الى ، فأتاه بها وأسلم ، فدعا له ، فقال حين أتى النبي :

من وشَزٍ برهوت تهوى بي عذافرة اليك يا خير من يحفى وينتعل
تجوب بي صفصفاً غبراً مناهلسه تزداد عفواً إذا ماكلت الإبل

---

١ ابن سلام ، طبقات (٦٠) ، المزهر (١/١٧٩) .
٢ ابن هشام (١/١٧١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) .
٣ ابن هشام (١/١٧٩) ، (حاشية على الروض) .
٤ ابن هشام (٢/١١٥) ، (حاشية على الروض الأنف) .
٥ الروض الأنف (٢/١٠٧ وما بعدها) .

شهرين أعملها نصاً على وجـــل أرجو بذاك ثواب الله يا رجـل
أنت النبي الذي كنّا نُخـبره وبشرتنـــا بك التوراة والرسل[1]

والذي نعرفه أن لسان أهل حضرموت لم يكن في هذا العهد على هـــذا البيان والعربية ، وإنما كان عـــلى عربية حضرموت ، ولا أدري إذا كان هذا الرجل يعرف شيئاً عن التوراة والرسل ، أو سمع باسم التوراة وبالرسل حتى يذكرهـــا ويذكر رسل الله في هذا الشعر .

ومن هذا النوع ما روي من شعر الجن والهواتف : من مثـــل الشعر المبشر بقرب ظهور نبي ، كما في قصة : (راشد بن عبـد ربه) السلمي التي رواها عن سبب إسلامه ، وما سمعه من هاتف يصرخ من جوف الصنم ، بظهور نبي[2] ، أو من شعر آخر ، قيل على ألسنة الجن ، في أغراض مختلفة وهو كثير ، من ذلك قولهم :

وقبر حربٍ بمكانٍ قفر وليس قرب قبر حربٍ قبر

وقائله مجهول . فلما رأوا ان من الصعب إنشاده ثلاث مرات في نسق واحـد فلا يتتعتع ولا يتلجلج ، قيل لهم انه من شعر الجن . فصدقوا بذلك[3] .

وذكر أهـــل الأخبار اسم شاعر من الجن ، قالوا له : (مالك بن مالك) الجني . فقد زعموا ان (خريم بن فاتك) الأسدي ، خرج في بغـاء إبل له ، فأصابها بالأبرق ، فقال : أعوذ بعظيم هذا الوادي ، فإذا هاتف يهتف :

ويحك عذ بالله ذي الجلال منزل الحلال والحـــرام

فقال خريم :

يا أيها الداعي فما تحيل أرشد عندك أم تضليل

---

١ ابن سعد ، طبقات (١/٣٥٠) ، (وفد حضرموت) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣١٧) .
٣ البيان والتبيين (١/٦٥) .

فقال الهاتف :

هذا رسول الله ذو الخيرات جـــاء بياسين وحاميمات
محرمـــات ومحلـــلات يأمرنا بالصوم والصلاة

فقال خريم : من أنت يرحمك الله ؟ فقـــال : أنا مالك بن مالك ، بعثني رسول الله على جن أهل نجد[1] .

وروى أهل الأخبار شعراً لشاعر آخر من الجن اسمه ، (مالك بن مهلهل بن إياد) ويقال (دثار) ، زعموا انه أحد من أسلم من الجن ، رووا له قصة مع (رافع بن عمير) التميمي المعروف بـ (دعموص الرمل) ، لأنه كان أعرف الناس لطريق وأسراهم بليل ، وأهجمهم على هول ، وقعت له برمل عالج ، لما قال : أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن أن أوذي أو أهاج . فهتف به هذا الجني الشاعر ، وأمره أن يذهب الى يثرب ، ليسلم أمام الرسول[2] .

ومن ذلك ما روي من حديث عن (قس بن ساعدة) ، وما رواه صاحب الحديث من صوت هاتف يقول :

يا أيها الراقد في الليل الأحم قد بعث الله نبياً في الحرم
من هاشم أهل الوقار والكرم يجلو دجنات الليالي البهم

ثم قول صاحب الحديث للهاتف :

يا أيها الهاتف في دجى الظلم أهلاً وسهلاً بك من طيف ألم
بين هداك الله في لحن الكلم من الذي تدعو اليه تغتنم

ثم جواب الهاتف عن سؤاله بقوله :

الحمد لله الـذي لم يخلق الخلق عبث
ولم يخلنـا سـدى من بعد عيسى واكتمث
أرسل فينا أحمـدا خير نبي قد بعث
صلى عليه الله مـا حج له ركب وحث[3] .

---

١ الاصابة (٣/٣٣٣) ، (رقم ٧٦٨٤) ، (١/٤٢٣) ، (رقم ٢٢٤٦) .
٢ الاصابة (٣/٣٣٥) ، (رقم ٧٦٩٢) .
٣ الخزانة (١/٢٦٤) ، (بولاق) .

وللجن أشعار ، ولها مع الإنس حوار . وللأعراب خاصة في الجـن قصص وحكايات ، وقد ذكر (الجاحظ) أن الأعراب يتزيدون في هذا الباب[1] . والحديث عـن الجن من الأحاديث التي يميل لسماعها الناس لمـا فيها من غريب وطريف واختراع ، مالوا الى سماعها في الجاهليـة وفي الإسلام ، ونجد لأبي المطراد (المطراب) (عبيد بن أيوب) العنبري ، وهو شاعر إسلامي ، وكان لصاً قد جنى جناية فنذر السلطان دمه وخلعه قومه ، قصص وأشعار كثيرة عن الجن والوحوش . أخبر « في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعي ، ويأكل مع الظباء »[2] . ونجد في كتاب (الحيوان) وفي كتب الأخبـار والأدب والسير ، طرف من أشعار الجن والغيلان والسعالى ، وطرف من أخبارهم وأحاديثهم مع الإنس .

ومن هذا القبيل ما نسب الى (جذع بن سنان) من شعر زعم انه جرى له من الجن ، وهو :

أتوا ناري فقلت منون أنتم فقالوا : الجن قلت عموا صباحا
نزلت بشعب وادي الجن لما رأيت الليل قـد نشر الجناحا
أتيتهـم وللأقـدار حتم تلاقي المرء صبحاً أو رواحا

وجذع شاعر جاهلي قديم ، من غسان ، وهو الذي ضرب به المثل بقولهم : خذ من جذع ما أعطاك . والشعر المذكور من أكاذيب العرب[3] .

وللأعشى إشارة الى الجن ، بقوله :

وسخر من جن الملائك سبعة قياماً لديه يعملون بلا أجر[4]

وفي شعره مواضع أخرى تعرض فيها الى ذكر الجن .

وقد تحدث (المعري) عن (شعر الجن) ، تحدث عنهم في رسالة الغفران

---

١ الحيوان (٦/١٦٤) .
٢ الشعر والشعراء (٢/٦٦٨) ، الخزانة (٣/٢١٣) ، الحيوان (٦/١٦٥) .
٣ وهي من قصيدة تجدها في الخزانة (٣/٦) ، (بولاق) .
٤ الخزانة (٢/٦) ، (بولاق) .

فكلم أحدهم واسمه (الخيتعور) ، أحد (بني الشيصبان) ، فقال له : « أخبرني عن شعر الجن ، فقد جمع منها المعروف بالمرزباني قطعة صالحة ، فيقول ذلك الشيخ : انما ذلك هذيان لا معتمد عليه ، وهل يعرف البشر من النظيم إلا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الأرض ؟ وانما لهم خمسة عشر جنساً من الموزون قل ما يعدوها القائلون ، وان لنا آلاف أوزان ما سمع بها الإنس »[1] . ثم يقول الجني له إن في الجن شعراء ، من لا يعدل (امرىء القيس) أضعفهم شعراً ، ثم يروي قصيدة للمتكلم معه ، وهو (أبو هدرش)[2] .

وروى حديثاً في رسالة الغفران عن قصص (تأبط شراً) مع الغيلان ، ثم أجاب على لسانه ، قال له : « أحق ما روي عنك من نكاح الغيلان ؟ » ، ثم أجاب على لسانه بقوله : « لقد كنّا في الجاهلية نتقول ونتخرص ، فما جاءك عنّا مما ينكره المعقول، فإنه من الأكاذيب » . ثم روى الشعر المنسوب اليه، وهو:

أنا الذي نكح الغيلان في بلدٍ ما طلّ فيه سماكيٌّ ولا جادا[3]

وقد كان الجاهليون مثل غيرهم من الشعوب يعتقدون بالجن ، وقد تصوروهم — كما سبق أن تحدثت عن ذلك — مثلهم ، قبائل وعشائر ، لهم ملوك وسادات فما كانوا يروونه عنهم وعن اتصالهم بهم ، يمثل حقيقة في نظرهم ، وما كان يضعه الوضاعون من شعر على ألسنتهم ، يقبل ويصدق عندهم ، ويسمع اليه بتلهف ، ولا سيما القسم الغريب منه ، إذ كانوا يتلذذون بسماعه ، ويذكر معه في العادة قصص لشرح المناسبة التي قيل فيها الشعر ، على طريقتهم في رواية أخبار (الأيام) . فالقصص المتعلق بالجن ، باب من أبواب التسلية التي كان يتسلى بها أهل الجاهلية ، بل بقي من القصص المستملح المطلوب سماعه حتى اليوم .

ومن هذا القبيل ، ما ورد في أيام العرب من شعر ، ففي هذا الشعر ما شاء الله من المنحول . نحل تمجيداً لقبيلة أو لبطل من أبطالها ، أو للغض من شأن قبيلة معادية ، اشتركت معها في قتال ، وفي أخبار هذه الأيام تعصب وتحزب ، ولذلك يجب النظر اليها بحذر شديد .

---

١ رسالة الغفران (٢٩١) .
٢ رسالة الغفران (٢٩٥ وما بعدها) .
٣ رسالة الغفران (٣٥٩) .

وشعر الشواهد من الأبواب التي فتحت المجال لنحل الشعر . قال عنه (الرافعي) : « وهو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع ، لحاجة العلماء الى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو »[1] . وقد كانوا يستشهدون بأشعار الجاهليين والمخضرمين : ونظراً لوجود عنصر التفوق والتغلب على الخصوم واظهار العلم ، ولوجود العصبية اندفع البعض إلى افتعال الشواهد والإتيان بالغريب وبما هو غير معروف. وقد اتهم الكوفيون بأنهم كانوا أكثر الناس وضعاً للأشعار التي يستشهد بها، لضعف مذاهبهم وتعلقهم على الشواذ واعتبارهم منها أصولاً يقاس عليها . ولهذا واشباهه اضطروا الى الوضع فيما لا يصيبون له شاهداً إذا كانت العرب على خلافهم ، وتجد في شواهدهم من الشعر ما لا يعرف قائله ، بل ربما استشهدوا بشطر بيت لا يعرف شطره الآخر . ومن أجل هذا كان البصريون يغتمزون على الكوفيين . فيقولون: نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشوارىز والكواميخ[2] . على أن البصريين ، لم يكونوا ملائكة بالنسبة الى افتعال الشواهد ، فقد أدلوا فيه بدلوهم كذلك ، وإن قيل إنهم كانوا أقلّ فعلاً في ذلك من الكوفيين . ذكر أن (سيبويه) سأل (اللاحقي) هل تحفظ العرب شاهداً على إعمال (فَعِلٌ) (الصفة) ؟ قال (اللاحقي) ، فوضعت له هذا البيت :

حَذِرٌ أموراً لا تضيرُ ، وآمنٌ ما ليس منجيه من الأعداء[3]

ومن ذلك ما رواه (الزجاجي) في (مجالس العلماء) ، من نزاع وقع بين (الطبري) وبين (أبي عثمان) في السكين : مذكر أم مؤنث ، ومن استشهاد (أبو عثمان) بشعر رواه الفراء ، هو :

فعيّث في السنام غداةَ قُرٍّ بسكين موثقة النصاب

وجوابه : « لمن هذا ومن صاحبه ؟ وما أراه إلا أخرج من الكم ، وأين صاحب هذا عن أبي ذؤيب حيث يقول :

---

١ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (١/٣٧٠) .
٢ الرافعي (١/٣٧١) .
٣ المزهر (١/١٨٠) ، الرافعي (١/٣٧١ وما بعدها) .

فذلك سكين على الحلق حاذق »[1] .

ومن ذلك ما ذكره (خلف الأحمر) على ألسنة القدماء في ورود لفظة (عشار) في كلام العرب ، إذ روى هذه الأبيات :

قل لعمرو يا ابن هند لو رأيت اليوم شنا
لرأت عيناك منهم كل ما كنت تمنى
إذ أتتنا فيلق شهبا من هنا وهنا
وأتت دوسر والملحاء سراً مطمئنا
ومشى القوم الى القوم أحادى ومثنى
وثلاثاً ورباعاً وخماساً فأطعنا
وسداساً وسباعا وثمانا فاجتلدنا
وتساعاً وعشاراً فأصبنا وأصبنا
لا ترى إلا كمياً قاتلاً منهم ومنّا

« ودلائل الوضع في هذه الأبيات ظاهره. وكان خلف الأحمر متهماً بالوضع »[2].

ويدخل في باب نحل الشعر عامل آخر ، هو الاستشهاد بالشعر لتأييد الخلافات القائمة بين المذاهب في اثبات رأي ، أو في تفسير آية ، تفسيراً يؤيد رأي ذلك المذهب . فقد زعم أن المعتزلة ، قالت في تفسير الآية: « وسع كرسيه السموات والأرض » ، أي علمه ، وأنهم جاءوا على ذلك بشاهد لا يُعرف وهو قول الشاعر :

ولا يُكَرسِيُّ علم الله بمخلوق[3]

وهو قول وإن روي عنهم وقيل ، لا أدري ، إذا كان قد صدر منهم ، أو أنه صنع عليهم ، وقد ورد في خبر أن (عبدالله بن عباس) ، كان يقول، الكرسي : العلم . وأنه فسر الآية بهذا المعنى . على كل فقد فسر المفسرون لفظة

---

١ مجالس العلماء (ص ١٢٩) ، (الكويت ١٩٦٢) ، (عبدالسلام محمد هارون) .
٢ الخزانة (١/٨٢) ، (بولاق) .
٣ الرافعي (١/٣٧٣) .

(الكرسي) تفاسير مختلفة ، وذلك تحاشياً من الوقوع في التشبيه ، من كونه تعالى يجلس على كرسي شبه كراسينا ، ولذلك مالوا الى التأويل . وذكر في رواية أخرى ، أن (ابن عباس) كان يرى أن الكرسي موضع القدمين ، « ومن روي عنه في الكرسي أنه العلم ، فقد أبطل »[1] .

ونظراً الى ما كان للمذهبية من أثر في الناس في ذلك العهد،فلا أستبعد احتمال الوضع على ألسنة المذاهب،لذا يجب الحذر من الإسراع في التصديق بصحة الشواهد المقالة على لسان مذهب ، ونقدها نقداً علمياً دقيقاً ، بالتفتيش عنها في كتب أهل ذلك المذهب ، فقد يجوز أن تكون قد وضعت عليهم وضعاً ، ومثل هذا الوضع شيء معروف .

ومن أبواب نحل الشعر ما قيل على لسان آدم فمن دونه من الأنبياء من شعر. فقد زعموا مثلاً ان (قابيل) حين قتل أخاه (هابيل) رثاه أبوه (آدم) ، فقال :

تغيرت البلاد ومَنْ عليها فوجه الأرض مغبرٌ قبيح
تغيّرَ كلُّ ذي طعمٍ ولونٍ وقَلَّ بشاشة الوجه المليح

فأجيب آدم :

أبا هابيل قد قُتِلا جميعاً وصار الحيُّ كالميت الذبيح
وجاء بشرة قد كان منها على خوف فجاء بها يصيح[2]

ثم ما قيل على لسان الأمم البائدة ، والشعوب الهالكة مثل عاد وثمود وقوم تبع ، وطسم وجديس ، وزرقاء اليمامة ، من أشعار زعم انهم قالوها ، وهي من نظم القصاصين وأصحاب السمر والحكايات ، وعشاق الأساطير والخرافات ، لما وجدوا ميلاً عند الناس الى الاستماع لمثل هذه الأشعار . فكانوا « يأتون بمثل تلك الأشعار على وهنها وتداعيها ويعزونها الى القدماء ، ثم يزعمون انهم أخذوها من

---

١ تاج العروس (٤/٢٣٢) ، (كرس) .
٢ تأريخ الطبري (١/١٤٥) ، تفسير الطبري (١/١٢٢) ، (طبعة بولاق) .

الصحف ، ويروونها للأمم البائدة وغيرهم »[1] . من ذلك ما نسبوه من شعر الى (معاوية بن بكر) ، وكان في أيام (عاد) ، مقيماً بظاهر مكة خارجاً من الحرم ، زعموا انه قاله لما استثقل طول مكث وفد (عاد) وفيه (لقمان بن عاد) عليه ، وألهمه الى قيتتيه لتغنيا به أمام الوفد ، وهو :

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عادٍ ، إنّ عاداً ... قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو ... به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير ... فقد أمست نساؤهم عياما
وإن الوحش تأتيهم جهاراً ... ولا تخشى لعادي سهاما
وأنتم ها هنا فيما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قومٍ ... ولا لُقُّوا التحية والسلاما

فأجابه (جلهمة بن الخيبري) :

أبا سعدٍ فإنك من قبيلٍ ... ذوي كرمٍ وأماك من ثمود
فإنا لن نطيعك ما بقينا ... ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك آل رفد ... وزمّل وآل صد والعبود
ونترك دين آباء كرامٍ ... ذوي رأيٍ ونتبع دين هود[2]

ومن ذلك ما نسبوه من شعر الى (مرثد بن سعد بن عفير) زعموا أنه قال حين سمع خبر هلاك عاد ، إذ قال :

عصت عاد رسولهُمُ فأمسوا ... عِطاشاً ما تبلهم السماء
وسيّر وفدهم شهراً ليُسقوا ... فأردفهم من العطش العماء
بكفرهم بربهم جهاراً ... على آثار عادِهِمُ العفاء
ألا نزع الإلهَ حُلومَ عادٍ ... فإن قلوبهم قفر هواء

---

١ الرافعي (١/٣٧٥ وما بعدها) ، الخزانة (٤/٢٠٢) ، (بولاق) .
٢ الطبري (١/٢٢٠ وما بعدها) ، (ذكر الاحداث التي كانت بين نوح وابراهيم) ، تفسير الطبري (٨/١٥٤) ، جمهرة أشعار العرب (٤١) .

من الخبرِ المُبَيَّن أن يَعُوهُ ... ومـا تغني النصيحة والشفاء
فنفسي وابنتايَ وأم ولـدي ... لنفسٍ نبينـا هودٍ فداء
أتانا والقلـوب مصمـدات ... على ظلم ، وقد ذهبَ الضياء
لنـا صنمٌ يقـال له صمود ... يقابله صـداء والهبـاء
فأبصره الذين لـه أنابوا ... وأدرك من يكذّبه الشقـاء
فإني سوف ألحق آل هودٍ ... واخوته إذا جـنّ المساء[1]

فلما هلكت عاد ، فلم يبق منهم إلاّ (الخلجان) ، قال :

لم يبقَ إلا الخلجـان نفسُهُ ... يا لك من يومٍ دهاني أمسه
بثابت الوطء شديـد وطسه ... لو لم يجئني جئتـه أجسه[2]

ورووا شعراً لأحد شعراء ثمود اسمه (مهوس بن عنمة بن الدميل) هو قوله:

وكانت عصبة من آل عمرو ... الى دين النبي دعوا شهـابا
عزيز ثمـود كلهم جميعاً ... فهمّ بأن نجيب ولـو أجابا
لأصبح صـالح فينـا عزيزاً ... وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغـواة من آل حجر ... تولوا بعـد رشدهم ذنابا[3]

ويروي أهل الأخبار انه قد كان لأهل الجاهلية شعر كثير قيل في عاد وثمود وأمورهم ، يأتون به دليلاً على شهرة أمرهم عند العرب في الجاهلية والاسلام[4] . من ذلك ما أوردوه على لسان (أفنون) التغلبي ، من قوله :

لو انني كنت من عادٍ ومن إرمٍ ... غذيّ سخْلٍ ولقمانا وذا جدان[5]

ومن هذا القبيـل ما نسب الى (عمرو بن الحارث بن مضاض) الجرهمي ، والى (الحارث بن مضاض) ، من شعر . وهو عند أهل الأخبار أحد المعمرين

---

١ الطبري (١/٢٢٣ وما بعدها) .
٢ الطبري (١/٢٢٤) .
٣ تفسير الطبري (٨/١٥٩) ، (بولاق) .
٤ الطبري (١/٢٣٢) .
٥ الزجاجي ، مجالس العلماء (٤٢) .

القدماء ، زعموا انه قال شعراً لما أجلت (خزاعة) جرهماً عن الحرم ، هو :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنّا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

وزعموا انه مدّ في عمره الى أن أدرك الاسلام[1] .

ونجد في شعر (النمر بن تولب) ذكر (لقمان)[2] . ونجد في أشعار شعراء آخرين إشارات الى هؤلاء وغيرهم ممن كان تذكرهم الأساطير وتروي أخبارهم الناس ، على نحو ما نسمعه من العنجائز عن قصص الماضين ، وقد أشرت الى أسماء بعض منهم في ثنايا هذا الكتاب .

وقد سبق أن ذكرت ان هذا النوع من الأساطير ، لم يفت عسلى بال بعض العلماء النقدة ، وانهم أشاروا الى انه من صنع جماعة من صناع الأساطير والقصص ، فقد قال (ابن سلام) : « وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل منه كل غثاء محمد بن اسحاق بن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسير والمغازي ، قبل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، انما أوتي به فأحمله ، ولم يكن له ذلك عـذراً ، فكتب في السيرة من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء ، فضلاً عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عادٍ وثمود ، فكتب لهـم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر انما هو كلام مؤلف معقود بقوافي ، أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ ألوف من السنين ؟ والله تعالى يقول: فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، أي لا بقية لهم . وقال أيضاً : وانه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى . وقال في عاد : فهل ترى لهم من باقية . وقال : وقررنا بين ذلك كثيراً »[3] .

ولكن أوسع وأظهر أبواب نحل الشعر ، هو ما وضعه رواة الشعر على ألسنة الشعراء الجاهليين ، وهو ما دعاه (الرافعي) : بـ « الإتساع في الروايـة » .

---

١ المرزباني ، معجم (١٠) ، ابن هشام ، سيرة (١/٨٢ وما بعدها) ، (حاشية على الروض الأنف) ، الروض الأنف (١/٨٠ وما بعدها) .
٢ الخزانة (٤/٤٤٨) ، (بولاق) .
٣ المزهر (١/١٧٣) ، (النوع الثامن : معرفة المصنوع) .

ونقصد به ما صنعه الرواة من وضعهم قطعاً وقصائد على ألسنة الشعراء الجاهليين لم يقولوها ، ومن اضافتهم أشعاراً على قصائد الجاهليين ، أو ادخال شعر شاعر في شعر غيره : هوى وتعنتاً[1] . فهذا الباب هو أخطر أبواب نحل الشعر وأوسعها وأهمها ، ويغطي معظم الشعر المنحول . صنعوه ، لرواج سوق الشعر الجاهلي في تلك الأيام ، وللطلب الكثير الذي كان إذ ذاك عليه . وللربح الذي كان يجنيه حامله من روايته ، مما حمل الرواة على وضع الشعر بصوغه على قوالب الشعر الجاهلي وعلى مضامينه وطرقه في التنقل في القصيدة ، وقد أجاد فيه أساتذة الصنعة من أمثال (حماد) الراوية و (خلف) الأحمر ، وليس في الرواة جميعاً من يدانيهما في الصنعة وإحكامها ، فهما طبقة في التأريخ كله[2] .

ومن أمثلة المصنوع أبياتاً مطلعها :

قل لعمرو : يا بن هند لو رأيت القوم شنا

أنشدها خلف الأحمر ، وهي مصنوعة[3] .

ومن أمثلة التطويل في الشعر ، ما فعلوه بأبيات الطيرة للحارث بن حلزة ، وهي أربعة أبيات ، ولكنهم جعلوها قصيدة طويلة . والأبيات هي :

يا أيها المُزمع ثم انثني لا يشك الحادي ولا الشاحُج
ولا قعيد أعضب قَرنُهُ هاج له من مَربع هائج
بينا الفتى يَسْعى ويُسعى له تاح له من أمره خالجُ
يترك ما رقح من عيشه يعيش منه همج هائج[4]

وروي ان قول الأعشى :

كتميل النشوان يسر فل في البقيرة وفي الإزارة

---

١ الرافعي (١/٣٧٩) .
٢ الرافعي (١/٣٨٣) .
٣ المزهر (١/١٧٨ وما بعدها) .
٤ الرافعي (١/٣٨٤) .

هو من قصيـــدة مصنوعة[1] . وروى (أبو عبيدة) عن (أبي عمرو) ، انه قال : « والله ما كذبت فيما رويته حرفاً قط ، ولا زدت فيه شيئاً إلا بيتاً في شعر الأعشى ، فإني زدته ، فقلت :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيبَ والصلعا »[2]

وروي ان « حماداً كان يقول : ما من شاعر إلا وقد حققت في شعره أبياتاً فجازت عنه ، إلا الأعشى ، أعشى بكر ، فإني لم أزد في شعره قط غير بيت. قيل له : وما البيت ؟ فقال :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت »[3] .

فأنت أمام روايتين متناقضتين ، رواية تنسب وضع البيت الى (أبي عمرو بن العلاء) ، ورواية تنسب وضع ذلك البيت الى (حماد) . وسبب التناقض العصبية ولا شك .

ويجب أن نضيف على الشعر المصنوع على ألسنة الجاهليين ، الشعر الذي وضع على ألسنة الصعاليك واللصوص ، فقد كان الناس يتسقطون أخبار هؤلاء ويتلذذون بسماع مغامراتهم وسطوهم ، شأن الناس في كل وقت ومكان من الميل الى التلذذ بسماع مثل هذه الأخبار ، وهذا ما حمل صناع الأخبار والأساطير على وضع الشعر على ألسنة الصعاليك واللصوص لتزيين أخبارهم وترصيعها بـه ، على طريقتهم في رواية أيام العرب وأخبارهم ، وفي شعر هذه الطبقة شعر كثير مصنوع .

وهناك شعر وضع للتسلية وللهو من ذلك شعر الفسق والمجون ، من ذلك مـا نسب الى (ابنة الخس) من قول ، هو :

سلوا نساء أشجع أي الأيور أنفـع
أألطويل النعنـــع أم القصير المِردَع
أم الذي لا يرفع أم الأسك الأصمع

---

١ الزجاجي ، مجالس العلماء (١٣٠) .
٢ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٣٥) .
٣ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (١/٣٨٣ وما بعدها) .

في كل شيء يطمع حتى القريص يصنع[1]

وابنة الخس ، في زعم أهل الأخبار ، جاهلية قديمة من إياد ، أدركت القلمس ، أحد حكام العرب ، « ولها أسجاع كثيرة وشعر قليل . وكانت تحاجي الرجال » الى أن حاجها رجل ، فقال لها قولاً بذيئاً أخجلها ، فتركت المحاجاة[2] . وأورد الشريف (المرتضى) لها أجوبة عن أسئلة معضلة محيرة ، لتحزر جوابها ، وذكر أجوبتها ، رواية عن (ابن الأعرابي)[3] .

والشعر الذي نسبه (أبو محمد ثابت بن أبي ثابت) اليها ، هو من الشعر المصنوع بالطبع ، وضع على لسان (ابنة الخس) ، وقد نص (تاج العروس) على أن قائله (جارية كانت جلعة)[4] ، وهو من وضع المجّان ، الذين كانوا يتلذذون بسماع هذا النوع من المجون .

وكان (ابن أبي كريمة) ، يصنع الشعر وينحله بعض شعراء البادية ، كما صنع في قصيدة له في وصف الفأر ، نحلها (يزيد بن ناجية) السعدي ، « وكان لقي من الفأر جهداً ، فدعا عليهن بالسنانير » ، وكان يصطنع شعر الفكاهة ، ويحاكي فيه (الحكم بن عبدل) الأسدي[5] . وهناك كثير من اضرابه ، ممن وضع الشعر للتسلية وللتفكهة على ألسنة الأعراب والشعراء الجاهليين .

وقد وضع (خلف) الأحمر قصائد عدة على فحول الشعراء ، ذكروا منها قصيدة الشنفرى المشهورة بلامية العرب . وروي عن الأصمعي قوله : سمعت خلفاً يقول : أنا وضعت على النابغة هذه القصيدة التي فيها :

خيل صيامٌ وخيل غير صائمةٍ تحت العجاج ، وأخرى تعلك اللجما[6]

---

١ كتاب خلق الانسان (٢٧٩) ، (لابن أبي ثابت) ، المخصص (٢/٣١) ، اللسان (٨/٢٧١) ، (قرصع) ، (لم يذكر اسم قائله) ، (٨/٣٥٨) ، (ولم يذكر اسم قائله كذلك) ، تاج العروس (٥/٤٦٠) ، (قرصع) ، (قاله أبو عمرو . وأنشد لجارية كانت جلعة) ، (٥/٥٢٧) ، (نعنع) .

٢ بلوغ الارب (١/٢٣٩) .

٣ أمالي المرتضى (١/٢٢٠) .

٤ تاج العروس (٥/٥٢٧) ، (نعنع) .

٥ البخلاء (٢٨٢ وما بعدها)، « الحكم بن عبدل » من شعراء أيام الامويين .

٦ الرافعي (١/٣٨١) .

ومما يدخل في هذا الباب اننا نجد بيتاً أو أبياتاً تنسب في أحد الموارد لشاعر، بينما نرى ديوانه خالياً منه أو منها ، من ذلك ما رواه (المعري) ، من انه لما كان ببغداد ، شاهد بعض الورّاقين يسأل عن قافية (عدي بن زيد) التي أولها:

بكر العاذلات في غلس الصبـ ـح يعاتبنه أما تستفيق

وزعم الورّاق ان بعض طلاب شعر هذا الشاعر سأل عن هـذه القصيدة ، وطلبت في نسخ من ديوان (عدي) فلم توجد . ثم سمع بعد ذلك رجلاً من أهل (استراباذ) يقرأ هذه القافية في ديوان (العبادي) ، ولم تكن في النسخة التي في دار العلم[1] . وذكر أشياء أخرى من هذا القبيل ، تراها في كتاب أو في نسخة من نسخ ديوان الشاعر ، بينما لا تراها في نسخ الديوان الأخرى ، مما يدل على ان الدواوين لم تكن متفقة في النص ، وانها رويت بروايات مختلفـة ، وان في بعضها ما يزيد على البعض الآخر[2] .

ونحل الشعر ، وإن وقع وحدث ، غير ان أمره لم يفت على بال العلماء المهرة الحاذقين ، ودليل ذلك ، ما نجده في كتبهم من الإشارات الى المنحول والمصنوع من الشعر ، ومن نصهم عليه ، وإن فات عليهم بعضه،ومن نصهم على المنحول ومن ملاحظاتهم تلك أخذ المستشرقون والمحدثون من العرب آراءهم في الشعر الجاهلي، فما أورده (ماركليوث) مثلاً من نقد على الشعر الجاهلي ، أو ما أورده (الدكتور طه حسين) من رأي فيه ، ليس فيه شيء جديد ، وجديده الوحيد ، هو في التهويل بمقدار المغشوش من هذا الشعر ، أما من حيث المبـدأ ، أي من حيث وجود شعر منحول فاسد ، في الشعر الجاهلي ، فالقدماء والمحدثون والمستشرقون متفقون في ذلك ، وخلافهم الوحيد ، هو في مقدار نسبة الفاسد من الشعر بالنسبة الى الصحيح .

فما قيل عن نحل الشعر إذن هو قول قديم . روي عن الأصمعي أنـه قال : « كل شيء في أيدينا من شعر امرىء القيس ، فهو من حماد الراوية إلا نتفـاً سمعتها من الأعراب وأبـي عمرو بن العلاء »[3] . وروي عن (حماد) الراوية قوله:

---

١ رسالة الغفران (١٤٦ وما بعدها) .
٢ رسالة الغفران (٥١٣) .
٣ مراتب النحويين ، لابي الطيب اللغوي (ص ٧٢) .

« دخل علينا ذو الرمة الكوفة ، فلم نر أحسن ولا أفصح ولا أعلم بغريب منه . فغم ذلك كثيراً من أهل المدينه » ، فأرادوا الكيد له بامتحانه ، فصنعوا شعراً على ألسنة بعض الجاهليين ، وأنشدوه إياها ، فعلم ذلك (ذو الرمة) بعلمه وبمعرفته للشعر الجاهلي ، أنه شعر مصنوع ، فقال لهم : « ما أحسب أن هذا من كلام العرب »[1] .

وقد زيد في شعر (امرىء القيس) كثيراً ، وقد عدّه علماء الشعر من المقلّين،وجعل بعضهم الصحيح من شعره نيفاً وعشرين شعراً بين طويل وقطعة[2] . وفي جملة ما نسب اليه القصيدة المسمطة ، وهي :

توهمت من هند معالم أطلال عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي
مرابعُ من هند خلت ومصايف يصيح بمغناها صدى وعوازف
وغيرها هوج الرياح العواصف وكل مسف ثم آخر رادف
بأسحم من نوء السماكين هطال[3]

ونرى (ابن سلام) يقول : « ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد . والذي صح لهما قصائد بقدر عشر ، وإن لم يكن لهما غيرهن ، فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة ، وإن كان ما يروى من الغثاء لهما فليسا يستحقان مكانهما على أفواه الرواة . ونرى ان غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير ان الذي نالهما من ذلك أكثر . وكانا أقدم الفحول ، فلعل ذلك لذلك . فلما قل كلامهما حُمل عليهما حمل كثير ، ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة »[4] . ولما تحدث عن (عبيد بن الأبرص) قال : « وعبيد بن الأبرص ، قديم عظيم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب ، لا أعرف له إلا قوله :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

---

١ الاغاني (١١٧/١٦) .
٢ العمدة (١٠٥/١) .
٣ العمدة (١٧٦/١) .
٤ طبقات (١٠ وما بعدها) .

ولا أدري ما بعد ذلك »[1] . فهو مع علمه الواسع بالشعر ، واستشهاد العلماء بكلامه وبآرائه في الشعر ، لا يعرف لعبيد غير هذا الشعر ، مع العلم بأنه قد توفي سنة (٢٣١ هـ) ، وفي أيامه كان الناس يموتون في طلب الشعر الجاهلي . ونجد (ابن قتيبة) المتوفى بعده (٢٧٠ هـ) ، يذكر له شعراً مطلعه :

يا عين فابكي بني أسدٍ هم أهل الندامة[2]

ثم قوله مخاطباً امرأ القيس :

يا ذا المخوّفنا بقتل أبيه إذلالاً وحَيْنا
أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا[3]

ثم قوله :

هلا سألت جموع كندة يوم ولّوا هاربينا[4]

وقد ذكر (ابن سلام) أن الرواة قد وضعوا على (عدي بن زيد) شعراً كثيراً ، وعلل ذلك بقوله : « وعدي بن زيد ، كان يسكن الحيرة ومراكز الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقه ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد. واضطرب فيه خلف ، وخلط فيه المفضل فأكثر . وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات،وله بعدهن شعر حسن »[5] . ولابن قتيبة هذا الرأي فيه ، حيث يقول : « وكان يسكن بالحيرة ، ويدخل الأرياف ، فثقل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جداً ، وعلماؤنا لا يروون شعره حجة . وله أربع قصائد غرر »[6] . وذكر نقلاً عن (أبي عبيدة) عن (أبي عمرو بن العلاء) أن « العرب لا تروي شعره ، لأن ألفاظه ليست بنجدية ، وكان نصرانياً من عباد الحيرة ، قد قرأ الكتب »[7] .

---

١ طبقات (١١ ، ٣١) .
٢ الشعر والشعراء (١/٥٠) ، ديوان عبيد (١٢٥) .
٣ الشعر والشعراء (١/٥٢) ، ديوان عبيد (١٣٦) .
٤ الشعر والشعراء (١/٥٨) .
٥ طبقات (٣١) ، العمدة (١/١٠٤) .
٦ الشعر والشعراء (١/١٥٠) .
٧ الشعر والشعراء (١/١٥٤) .

وقد تعرض القدماء لموضوع الشعر المقال على ألسنة الأمم القديمة وملوكها ، فرفض (ابن سلام) ذلك الشعر ، بقوله : « وإنما قصدت القصائد وطُول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط عاد وثمود وحمير وتبع »[1] . إذن فما أضيف الى هؤلاء والى أهل اليمن هو شعر منتحل.

ومن أصحاب البصر والنظر في الشعر : (خلف الأحمر) . « وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة ، أعني النقد ، ولا يشقون له غباراً ، لنفاذه فيها ، وحذقه بها ، وإجادته لها »[2]. وعلمه بالشعر ، جعله من كبار الوضاعين له على ألسنة الجاهليين .

وبعد ، فإننا لا نستطيع بالطبع التصديق بصحة الشعر المنسوب الى آدم والجن والتبابعة وأهل العربية الجنوبية وغيرهم ممن لا يعقل قولهم الشعر العربي ، وإن نص على صحة ذلك الشعر ، ورواه العلماء . أما سبب رفضنا قبول الشعر المنسوب الى أهل العربية الجنوبية من ملوك وأقيال ورؤساء، فلأنهم كانوا يتكلمون ويكتبون كما هو ثابت لدينا من نصوصهم بلغة تختلف عن لغة الشعر المألوفة ، ولو تصورنا انهم كانوا ينظمون الشعر بلغة الشعر المعروفة ، ويكتبون ويتكلمون بلغة أخرى : فإننا نكون قد قلنا برأي مخالف للمعقول وللمنطق ، ونكون قد أوجدنا لهم لغة للشعر ولغة للنثر ، وهو افتراض لا يمكن لأحد إثباته ، ثم إن لغة التدوين تكون في العادة لغة الأدب عامة من شعر ومن نثر ، لذا فإذا قلنا بوجود شعر جاهلي للعرب الجنوبيين ، قلنا يجب أن يكون هذا الشعر بلغتهم ، لا بلغة هذا الشعر الجاهلي الذي نتحدث عنه .

وبعد ، فلعل قائلاً يقول : وما فائدة الشعر الجاهلي اذن ، اذا كان هذا شأنه فيه المنحول والفاسد ، وما يشك في أصله ؟ والجواب : ان العلماء ، وان اختلفوا فيه ، مجمعون ومتفقون على ان رواة هذا الشعر وحملته كانوا من أعلم الناس بالجاهلية : بأخبارها وبأيامها وبأنسابها ، وبأنهم كانوا من أمرس الناس بالشعر الجاهلي وبطرقه ودروبه ، فهم إن وضعوا ولفقوا ، أو كيفوا ، فإنهم لا يضعون عن جهل وعمى ، بل عن علم وفهم بالجاهليين ومذاهبهم في نظم

---

١ طبقات (١١) .
٢ العمدة (١/١١٧) .

الشعر والتفسير ، ولا سيما ان العهد بينهم وبين الجاهلية لم يكن طويلاً ،وان الأخذ عمن شهد الجاهلية أو أخذ منهم وسمع كان ممكناً يسيراً ، ومن هنا كان ما رووه من شعر جاهلي مادة مهمة للمؤرخ مهما قيل في أمره .

ثم إننا حين نروي الشعر الجاهلي ، فلا نرويه أو ننشده ، أو نحفظه لأنه شعر مقدس ، لا يجوز أن يمسه أحد بسوء ، وانه تراث خالد ، إذا تعرض له إنسان أو تحرش به ، فإنما هو يتعرض لأثر تأريخي قديم من آثار هذه الأمة ، وإنما نرويه على أنه من مرويات العلماء ، وأنه مهما قيل فيه وفي أصله ، فإنه يحاول أن يصوّر لنا أحوال زمن سبق الإسلام ، وهو زمن مهم جداً بالنسبة لنا ، لاتصاله بالاسلام ، ولقيام الاسلام عليه ، ولكونه فصولاً متقدمة مجهولة من كتاب ناقص ، ضاعت فصوله الأولى ، هو كتاب في تأريخ العرب منذ القدم الى هذا اليوم ، فإذا فقدنا الأصول ، فلا بأس بالتسلي بما نسبه المتأخرون على الأقل الى المتقدمين ، مهما كان بعد هذا المنسوب عن الصحة والحق ، ومهما كانت نسبة الباطل فيه كبيرة ، وحتى إذا كانت النسبة مائة بالمائة ، وهي نسبة نبالغ فيها بالطبع ، لا أعتقد أن أحداً سيراها ، مهما بلغ به الشك والحذر بالنسبة الى أصالة الشعر الجاهلي ، ومن هنا فإن النزاع الدائر حول صحة الشعر الجاهلي ، والذي سيبقى مثاراً قائماً ، حتى يظهر أثر جاهلي مكتوب ، وعندئذ فقد يحسم شيئاً من مواضع الخلاف المؤلفة لهذا النزاع ، يجب ألا يحملنا على الابتعاد عن هذا الشعر ، باعتبار أنه لا يمثل الجاهلية تمثيلاً صحيحاً ، وانه شعر مكذوب منحول ، وإنما يجب أن يدفعنا — على العكس — الى الاهتمام به ، باعتبار أنه من أقدم الآثار التي وصلت الينا ، المدوّنة في الاسلام . وأنها إن كانت منحولة ، فان نحلها على ألسنة الجاهليين ، نحل قديم ، يعتبر تأريخياً من أقدم المنحولات الواصلة الينا في المدوّنات الاسلامية ، وأنها تمثل صنعة وصناعة صنّاع ، حاولوا تقليد الماضي ، على ما وصل خبره اليهم ، فصاغوه على تلك الصياغة ، فهو أثر أصيل لأقدم مصنوعات ومحاكاة وتقليد لآثار قديمة لها صلة بتأريخ العرب القديم .

وأرى في الوقت نفسه ان من الضروري وجوب تقصي الأخبار عن الشعر المصنوع ، وتتبع المراجع للوصول الى أقدم مرجع ورد فيه كل شعر مصنوع ، وتسجيل الأبيات والقطع والقصائد التي ترد لأول مرة في أقدم مورد من الموارد، والنص على اسم المورد ، وعلى سنده إن كان مذكوراً ، لنتمكن بهذه الدراسة

من الوصول الى اسم صانع الشعر ، أو الزمن الذي ظهر فيه ذلك الشعر ان كان الاسم مجهولاً ، كما نقوم بتسجيل الموارد التي يرد فيها شعر الشعراء ، وما اختلفت فيه بعضها عن بعض من حيث الألفاظ ، أو ترتيب الأبيات ، أو عددها ، ثم أسماء من نسبت اليهم تلك الأشعار ، فقد ينسب الشعر الواحد الى جملة شعراء ، وتسجيل أسماء من روى ذلك ، واسم المصدر ،وبذلك نكون قد قمنا بدراسة علمية قيّمة عن الشعر المصنوع وعن الشعر الأصيل الذي لم يشك في أصالته عالم من علماء الشعر ، ثم نعرض النتائج للبحث بأساليب النقد الحديثة لاستخراج الزائف منه ، ولاستبعاد صدور بعضه من الشعراء الجاهليين،نفعل ذلك حتى في حالة عدم ورود رواية لعالم قديم تشك في صحة شعر ، لأن سكوت العلماء عن الشك في شعر ، لا يكون حجة على صحة ذلك الشعر .